القدوة وأثرها في بناء الوعي الأخلاقي

من خلال القرآن الكريم

(وصايا لقمان لابنه أنموذجاً)

إعداد الدكتورة

سحر إبراهيم مغازي النجار

المدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات- جامعة الأزهر- كفر الشيخ

القدوة وأثرها في بناء الوعي الأخلاقي من خلال القرآن الكريم (وصايا لقمان لابنه أنموذجًا)

سحر إبراهيم مغازي النجار

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، جامعة الأزهر، كفر الشيخ، مصر.

البريد الإلكتروني: Sahar_ibrahim@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

يناقش هذا البحث أهمية القدوة الحسنة وأثرها في بناء الوعي الأخلاقي من منظور القرآن الكريم من خلال نموذج يرسخ في المجتمع الأخلاق الحميدة التي أمرنا بها الإسلام؛ فهي الأصل الأصيل في ديننا الحنيف وبدونها تتخبط الإنسانية في ظلمات الجهل والضلال، كما أن وجود القدوة من أنجح الوسائل المؤثرة في إعداد الفرد وتكوينه نفسيًّا، واجتماعيًّا، وثقافيًّا، وأخلاقيًّا، وهي عامل كبير في صلاح المرء، واستقامته، وصلاح المجتمع من ورائه، كما يهدف البحث إلى بيان أن الوالدين هما القدوة الأولى للأبناء، وإبراز المعالم التي تضمنتها وصايا لقمان لابنه؛ لتكون نبراسا يقتدي بها الآباء والمربون، وأثرها في بناء الوعي الأخلاقي للنهوض بالمجتمع، وقد اتبعت المنهج التحليلي، والوصفي، والاستنباطي في دراسة وصايا لقمان وبيان أثرها في بناء الوعي الأخلاقي، ومن أهم النتائج أن وصايا لقمان تكفل السعادة في الدنيا والآخرة لمن وعاها وطبقها في واقعه؛ إذ تشمل أمور العقيدة والعبادة والأخلاق، وفيها عمل القلب والجوارح واللسان، وأيضًا بها هندام الهيئة من المظهر والمخبر، وفيها صلاح علاقته بربه وبوالديه وبنفسه وبالناس أجمعين.

الكلمات المفتاحية: القدوة، الوعي الأخلاقي، الوصايا، لقمان الحكيم.

Role Models and their Impact on Building Moral Awareness through the Holy Qur'an

Luqman's Commandments to his Son as an Example

Sahar Ibrahim Moghazy El-Naggar.

Department of Qur'an Exegesis and Qur'anic Sciences, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Female Students, Al-Azhar University, Kafr-El Sheikh, Egypt

Email :Sahar_ibrahim@azhar.edu.eg

Abstract:

This research discusses the importance of good role models and their impact on building moral awareness from the perspective of the Holy Qur'an through a model that establishes in society the good morals enjoined upon us by Islam. The presence of a role model is also one of the most influential and successful means of preparation and formation of an individual psychologically, socially, culturally, and morally. It is a major factor in a person's righteousness and integrity, and the righteousness of the society as a whole. The research aims to explain that parents are the first role models for children, and to highlight that the features included in Luqman's commandments to his son can be a beacon for parents and educators to follow. They can have an impact on building moral awareness for the advancement of society. The analytical, descriptive, and deductive approaches have been followed in studying Luqman's commandments and demonstrating their impact on building moral awareness. One of the most important results is that Luqman's commandments guarantee happiness in this world and the

hereafter for whoever is aware of them and applies them to his life. They include matters of belief, worship, and morals, as well as matters related to the heart, limbs, and tongue. They can help a person to improve their relationship with their Lord, parents, themselves, and other people.

Keywords: role model - moral awareness – commandments – Luqman - the Wise

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد،

فإن القرآن الكريم هو دستور الأمة الإسلامية ومنهاجها الشامل القويم، في بناء أخلاقها وحضارتها، وقد جاء القرآن الكريم وافيًا بجميع متطلبات الإنسانية في شتى مناحي الحياة، معالجًا مشاكلها، وواضعًا بلسمًا شافيًا لكل مشكلة في أُطُر عامة إن ترسَمت الإنسانية تلك الحلول فقد أفلحت، وإن أعرضت فقد خابت وخسرت قال تعالى: {فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ} [طه: ١٢٣]، وفي القرآن الكريم قصَّ الله تعالى نماذجًا يقتدى بها من سير الأنبياء والصالحين، وعبرًا من ذكر الأولين تمثل منهجًا وقدوة؛ لتكون نبراسًا لكل مسلم، وتهديه سبل الرشاد.

والمتتبع للمجتمعات البشرية اليوم يجدها بأمس الحاجة إلى القدوة الحسنة؛ لتعيده إلى الأخلاق الحميدة التي أمرنا الإسلام بالتمسك بها، لا سيما الشباب الذي حاصرته نماذج ضالة انخدع بها كثير منهم.

ولما كانت الأسرة أساس المجتمع ولبنته الأولى – يصلح بصلاحها ويفسد بفسادها؛ فرقي المجتمع رهين برقي أخلاق أفراده– كان الوالدان هما القدوة الأولى، والموجه الأهم للأبناء ، والمؤثر في إعدادهم نفسيًّا، ودينيًّا، واجتماعيًّا، وأخلاقيًّا، وقد زخر القرآن الكريم بأمثلة من الحوارات الأسرية بين الآباء والأبناء، وبين الأزواج والزوجات اتفاقًا في الدين أو اختلافًا، ومن الأمثلة التي أخذت مساحة تعبيرية قصة لقمان الحكيم الذي سمى الله سورة في القرآن الكريم باسمه؛ ولهذا فقد استخرت الله تعالى في دراسة وصايا لقمان لابنه كأنموذج للأب المثالي وقدوة حسنة؛ لترسم أثرها في بناء الوعي الأخلاقي، وأسميت هذه

الدراسة:" القدوة وأثرها في بناء الوعي الأخلاقي من خلال القرآن الكريم (وصايا لقمان لابنه أنموذجًا)"

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية هذا الموضوع في تعلقه بتفسير القرآن الكريم أشرف العلوم وأجلها على الإطلاق، فضلا عن حاجة المجتمع للعمل بهذه الوصايا التي تحفظ أفراده من الوقوع في الكبائر والرذائل، وما لها من آثار في بناء وعي المجتمع الإسلامي من تنظيم علاقة الفرد بربه وبوالديه، وبمجتمعه.

أسباب اختيار الموضوع:

١- رغبتي الصادقة في خدمة كتاب الله، والعيش في رحابه، والاهتداء بأنواره.

٢- الحاجة الماسة إلى قدوة عملية تستشعر المسئولية، وتحرص على إيصال النفع للغير، بشتى أساليب التأثير، والإقناع، بحكمة بليغة مؤثرة، تمامًا كما فعل لقمان مع ولده؛ إذ تحمل مسئوليته الأبوية؛ فلم يغفل أمر تربيته، ولم يتركه تعصف به الشهوات فلا يقوى على مواجهة الانحرافات.

٣- ربط الأجيال الناشئة بكتاب الله، وبيان أن القرآن سبق في وضع مناهج التربية، والعلم، والمعرفة.

وقد جاء هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

أما المقدمة فضمنتها أهمية البحث، وسبب اختياره، وخطة البحث، والمنهج المتبع في كتابة البحث.

وأما التمهيد فبينت فيه كلمات مفتاحية لهذا البحث: القدوة – الوعي الأخلاقي – الوصايا– لقمان الحكيم.

المبحث الأول: وصدرته بعنوان بين يدي السورة الكريمة وتحدثت فيه عن: مكية السورة ومدنيتها – سبب تسميتها – عدد آياتها– ترتيبها – مناسبتها للسورة السابقة – مقاصدها التوعوية.

المبحث الثاني: وصايا لقمان وأثرها في بناء الوعي الأخلاقي.

الوصية الأولى: الدعوة إلى التوحيد.

الوصية الثانية: بر الوالدين.

الوصية الثالثة: اتباع سبيل أهل الصلاح.

الوصية الرابعة: مراقبة الله عَزَّوَجَلَّ.

الوصية الخامسة: إقامة الصلاة.

الوصية السادسة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الوصية السابعة: التحلي بالصبر.

الوصية الثامنة: حسن الخلق بالتواضع ولين الجانب.

الوصية التاسعة: عدم الغرور.

الوصية العاشرة: أدب الحديث بخفض الصوت.

الخاتمة: وبها نتائج البحث وتوصياته.

وذيلته ثبت المصادر والمراجع ثم فهرس الموضوعات.

واعتمدت المنهج التحليلي، والوصفي، والاستنباطي، واتبعت الآتي:

١- التزمت كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني.

٢- تخريج الأحاديث من مصادرها الأصيلة، وإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به.

٣- ذكر المناسبة بين الوصايا في الآيات القرآنية.

٤- الرجوع إلى المصادر والمراجع الأصيلة بالإضافة إلى الكتب الحديثة المتعلقة بالتفسير وعلوم القرآن مع إسناد كل قول لقائله إن كان نصًّا، والإشارة إليه إن كان تصرفاً، فمن بركة العلم أن ينسب القول لقائله.

٥- الاستعانة ببعض كتب اللغة والمعاجم وغيرها مما يتصل بالموضوع.

٦- عزو الشواهد الشعرية إلى قائليها مع بيان مصادرها، وبحرها العروضي إن أمكن.

٧- ذيلت البحث بثبت المصادر والمراجع، ثم فهرس الموضوعات، وقد رتبت المصادر والمراجع حسب حروف المعجم.

أسأل الله العلي القدير أن يرزقني الإخلاص في القول والعمل، وأن يتقبل ذلك مني؛ إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

التمهيد

التعريف بالكلمات المفتاحية لهذا البحث (القدوة – الوعي الأخلاقي– الوصايا– لقمان).

القَدْوُ:" أصل البناء الذي ينشعب منه تصريف الاقتداء، والقدوة، بضم القاف وكسرها: بمعنى الأسوة، يقال: فلان قدوة يقتدى به. وفي المصباح المنير:" الضم أكثر من الكسر"، وهي اسمٌ من: اقتدى به إذا فعل مثل فعله تأسيًا، وفلانٌ قدوةٌ، أي: يقتدى به، وتقدت به دابته: لزمت سنن الطريق." والقدوة أيضا: التقدم. ويقال: فلان لا يقاديه أحدٌ ولا يماديه ولا يباريه ولا يجاريه، وذلك إذا برز في الخلال كلها(١).

القدوة اصطلاحًا: بالكسر والضم:" الاقتداء بالغير ومتابعته والتأسي به.(٢)"

وعرفها الأصفهاني بأنها:" الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره إن حسنًا وإن قبيحًا، وإن سارًّا وإن ضارًّا(٣)."

الوعي الأخلاقي – وعى الشَّيْء وعيا وأوعاه: حفظه وَقَبله. وعَى الشّخصُ الأمرَ: أدركه على حقيقته "وعى أهميّة المشروع– وعَوْا كُنْهَ الموضوع" الوعْي القوميّ: الشُّعور القوميّ، وعَى الشّخصُ حديثًا: حَفِظهُ وقبِلَهُ وفَهِمَه وتدبَّره، وعِّى فلانًا: نَصحَهُ وحمله على إدراك موضوع من المواضيع "الإعلام يعمل على توعية الجماهير– التَّوعية الصِّحّيّة ضروريّة". وتدور معاني الوعي حول الحفظ والتقدير والفهم وسلامة الإدراك(٤).

---

(١) ينظر: لسان العرب (١٧١/١٥)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي: (٤٩٤/٢).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي: ص:(٢٦٩).

(٣) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهانى ص: (٧٦).

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة: (٢٤٦٨/٣)، المعجم الوسيط: (١٠٤٤/٢).

والوعي الأخلاقي مصطلح حديث عرف بتعريفات منها:

١- تعريف رست(Rest, 1986) معرفة الفرد بتأثير أفعالة المحتملة، وحدودها على الموقف الأخلاقي من خلال بناء تصورات محتملة للأسباب والنتائج.

٢- بيبو واخرون (Bebeau, Rest & Narvaez, 1999): هو إدراك أو معرفة تأثير تصرفاتنا على الأشخاص الآخرين(١).

٣- ويمكن تعريف الوعي الأخلاقي أنه مجموعة القواعد والقوانين والثوابت الأخلاقية، فطرية كانت أم مكتسبة والاعم كليهما معا، سماوية كانت أم أرضية والاعم كليهما معا، التي يتشكل على أساسها ووفقا لها الوعي الأخلاقي للإنسان الفرد أولا، ومن ثم الإنسان الاجتماعي ثانيا، والتي تجعله يميز بين الخير وبين الشر بشرط الأهلية.

الوصايا:

الوصايا لغة: جمع الوَصِيَّة، و(وَصَّى) و (أوصى) بمعنى، والاسم: "الوصاية بفتح الواو وكسرها. والوصي: من يوصى له، ومن يقوم على شؤون الصغير. وتَوَاصَى القوم: أوصى بعضهم بعضا . والوصية: العهد أو الأمر المؤكد، ولفظ الوصية مشترك بين التذكير والاستعطاف وبين الأمر، فيتعين حمله على الأمر، ويقوم مقامه كل لفظ فيه معنى الأمر(٢).

والإيصاء أمر أو نهي يتعلق بصلاح المخاطب خصوصا أو عموما، وفي فوته ضر، فالوصية أبلغ من مطلق أمر ونهي فلا تطلق إلا في حيث يخاف الفوات إما بالنسبة للموصي وإما بالنسبة إلى الموصى(٣).

---

(١) الوعي الأخلاقي لدى مرتكبي جرائم زنا المحارم، لعبيد هجران محسن، بحث مستل من مجلة الآداب، جامعة بغداد – كلية الآداب ملحق العدد ١٣٦ –٢٠٢١م/ ١٤٤٢هـ ص:(٣٣٧).

(٢) ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي: (٦٦٢/٢)، تاج العروس للزبيدي: (٢٠٩/٤٠).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور: (٧٢٧/١).

والوصية شرعا العهد، أو الأمر المؤكد المقرر، ومنه قوله تعالى: {يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ..} [النساء: ١١].. أي: يأمركم ويفرض عليكم، لأن الوصية من الله فرض. والوصية: التمليك مضافًا إلى ما بعد الموت بطريق التبرع سواء كان ذلك في الأعيان أو في المنافع.

وتطلق على ما يقع به الزجر عن المنهيات والحث على المأمورات، ويقول الراغب:" الوصية: التقدم إلى الغير بما يعمل به مقترنا بوعظ(١)." وعلى هذا الإطلاق أعرض وصايا لقمان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

لقمان الحكيم:

اختلف المفسرون في اسم ونسب لقمان الحكيم على قولين: الأول: هو: لقمان بن باعوراء بن ناحور بن تارخ، وهو آزر، وقيل: كان ابن أخت أيوب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وقيل: كان ابن خالته، وهذا ما ذهب إليه جمهور المفسرين(٢)، ولعلهم اعتمدوا على ما أورده ابن إسحاق حيث قال:" وهو لقمان بن باعوراء ابن ناحور بن تارخ، وهو آزر أبو إبراهيم، وقال وهب: كان ابن أخت أيوب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وقال مقاتل: ذكر أنه كان ابن خالة أيوب(٣) عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ."

والثاني: ذكره الإمام ابن كثير :"هو لقمان بن عنقاء بن سدون، ويقال: لقمان بن ثاران، حكاه السهيلي عن ابن جرير والقتيبي، قال السهيلي: وكان نوبيا من أهل أيلة، قلت: وكان رجلا صالحا ذا عبادة وعبارة، وحكمة عظيمة، ويقال كان قاضيًا في زمن داود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، فالله أعلم(٤)."

---

(١) المفردات للراغب الأصفهاني: (٥١٩/٢).
(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي: (٢١٣/٤)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي: (٧١٣/٢)، لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن : (٣٩٧/٣).
(٣) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي: (٣١٢/٧)، معالم التنزيل للبغوي: (٥٨٧/٣).
(٤) البداية والنهاية : (١٤٦/٢)، وينظر: الروض الأنف للسهيلي:(٤٠/٤)، الجامع لأحكام القرآن:(٥٩/١٤).

واختلف المفسرون في اسم لقمان أعربي أم أعجمي؟ على قولين: أولهما: أنه اسم أعجمي، منع من الصرف للعجمة والعلمية، قال الفيروزآبادي: إنه اسم أعجمي ممنوع من الصرف، قيل: عبرانى، وقيل: سريانى[١]." وثانيهما: أنه اسم عربي مشتق من اللقم، والأظهر أن العرب عربوه بلفظ قريب من ألفاظ لغتهم على عادتهم كما عربوا شاول باسم طالوت وهو ممنوع من الصرف لزيادة الألف والنون لا للعجمة[٢]." والأول أولى.

جاء ذكره في موضعين من القرآن الكريم دلالة على علو مكانته، ولقب بالحكيم استمدادًا من قوله تعالى: {وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ } [سورة لقمان:١٢]،. وهو من سودان مصر، أي: أنه كان من أهل النوبة من سودان مصر- وهي بلدة تقع في محافظة (أسوان) بمصر. [٣] وقيل: من الحبشة، والراجح: أن لقمان الحكيم من النوبة من سودان مصر؛ لكثرة الروايات الواردة في ذلك عند المفسرين[٤]، وقد عاش في زمن داود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ، قال الزمخشري:" وهو لقمان بن باعوراء ابن أخت أيوب أو ابن خالته، وقيل: كان من أولاد آزر، وأدركه داود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وأخذ عنه العلم[٥]."

وذكر الإمام ابن كثير عن مجاهد: «أن لقمان كان قاضيًا في بني إسرائيل في زمان داود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ[٦]. " وقد ذكر أهل التاريخ: أن لقمان الحكيم كان في زمن داود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ[٧]، وهذا يؤيد ما ذكره المفسرون.

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: (٩٠/٦).
(٢) ينظر: التحرير والتنوير: (١٥١/٢١).
(٣) معجم البلدان لياقوت الحموي: (١٩١/١).
(٤) ينظر: جامع البيان : (١٣٥/٢٠).
(٥) الكشاف: (٤٩٣/٣).
(٦) تفسير القرآن العظيم: (٣٣٤/٦).
(٧) البداية والنهاية : (١٤٦/٢).

كما اختلف المفسرون في لقمان أكان حرًا أو عبدًا؟ والأكثرون على أنه كان عبدًا، كما اختلف في مهنته؛ فقيل: كان خياطًا بمصر، قاله سعيد بن المسيب، وقيل: كان راعيًا، وقيل: كان نجارًا، وكثرت المرويات في صفاته الخُلُقية والخِلقية.

وفي الحقيقة أن القرآن صرح باسمه فقط، وأما ما ورد من اختلاف في اسمه ونسبه وصفاته فلا دليل عليه من الكتاب أو السنة، فينبغي التوقف في ذلك؛ لأنه من مبهمات القرآن التي لم يقم عليها دليل، قال الألوسي بعد أن ساق هذه الاختلافات:" ولا وثوق لي بشيء من هذه الأخبار، وإنما نقلتها تأسيًا بمن نقلها من المفسرين الأخيار عن أني أختار أنه كان رجلًا صالحًا حكيمًا، ولم يكن نبيًا[١]."

(١) روح المعاني : (٨٢/١١).

المبحث الأول

بين يدي السورة الكريمة

أولاً: مكية السورة ومدنيتها:

سورة لقمان سورة مكية كلها في قول جمهور المفسرين، واستثنى بعض المفسرين ثلاث آيات قال ابن عباس أولهن: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ} [لقمان: ٢٧] ..." إلى تمام ثلاث آيات [لقمان:٢٧ –٢٩]، ومنهم من استثنى آيتين قال قتادة أولهما: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ ...} [لقمان: ٢٧] ")، واستثنى الحسن آية {ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ} [المائدة: ٥٥] فإن وجوبهما بالمدينة[١]، ورد عليه البيضاوي:" وهو ضعيف؛ لأنه لا ينافي شرعيتهما بمكة[٢]."

ثانيًا: سبب تسميتها بهذا الاسم:

سميت سورة لقمان باسمه؛ لاشتمالها على قصته التي تضمنت فضيلة الحكمة، وسر معرفة الله تعالى وصفاته، وذم الشرك، والأمر بالأخلاق والأفعال الحميدة، والنهي عن الذميمة[٣].

قال الإمام ابن عاشور:" سميت هذه السورة بإضافتها إلى لقمان؛ لأن فيها ذكر لقمان وحكمته وجملا من حكمته التي أدب بها ابنه، وليس لها اسم غير هذا الاسم، وبهذا الاسم عرفت بين القراء والمفسرين، ولم أقف على تصريح به فيما يروى عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسند مقبول[٤]."

---

(١) ينظر: النكت والعيون للماوردي: (٣٣٦/٤)، والمحرر الوجيز لابن عطية: (٣٤٥/٤).
(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي: (٢١٢/٤).
(٣) محاسن التأويل للقاسمي: (٢٤/٨).
(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور: (١٣٧/٢١).

ثالثًا: عدد آياتها:

عدد آياتها ثلاث وثلاثون في عد أهل المدينة ومكة، وأربع وثلاثون في عد أهل الشام والبصرة والكوفة(١).

رابعًا: ترتيب السورة:

سورة لقمان الحادية والثلاثون في ترتيب المصحف حسب الرسم القرآني، والسادسة والخمسون حسب الترتيب النزولي إذ نزلت بعد سورة الصافات، وقبل سورة سبأ كما ذكر الزركشي، بينما عدها ابن عاشور السابعة والخمسون؛ ولعل ذلك لأن الزركشي لم يذكر ترتيب سورة الفاتحة(٢).

خامسًا: مناسبة سورة لقمان للسورة السابقة عليها:

تتأتى المناسبة بينهما من وجوه منها:

أولها: ما قاله الجلال السيوطي:" ظهر لي في اتصالها بما قبلها مع المؤاخاة في الافتتاح- بـــ {الٓمٓ} [لقمان:١] إن قوله تعالى: {هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤} [لقمان: ٣-٤] متعلق بقوله تعالى فيما قبل: {وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ...الآية} [الروم: ٥٦] الآية فهذا عين إيقانهم بالآخرة وهم المحسنون الموصوفون بما ذكر، وأيضا ففي كلتا السورتين جملة من الآيات وابتداء الخلق(٣).

ثانيها: أنه تعالى قال في سورة الروم السابقة عليها:{وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ} [الروم:٥٨] وأشار إلى ذلك في مفتتح هذه السورة.

---

(١) ينظر: فنون الأفنان في عيون علوم القرآن لابن الجوزي، ص: (٢٩٩)، روح المعاني للآلوسي: (٣٤/١١).

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن: (١٩٣/١)، التحرير والتنوير لابن عاشور: (١٣٨/٢١).

(٣) أسرار ترتيب القرآن للسيوطي، ص: (١٢٢).

ثالثها: أنه قال في آخر سورة الروم: {وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ} [الروم: ٥٨] وقال في هذه: {وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا} [لقمان: ٧] .

رابعها: كلتا السورتين أفادت سهولة البعث؛ إذ قال سبحانه في السورة السابقة: {وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ} [الروم: ٢٧]، وقال في سورة لقمان: {مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ} [لقمان: ٢٨].

خامسها: أنه ذكر هناك قوله: {وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾} [الروم:٣٣]، وقال هنا: {وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ} [لقمان: ٣٢] فذكر في كل من الآيتين قسما لم يذكره فى الآخر.

سادسها: أن سورة الروم ذكر فيها مغلوبية الروم وغلبتهم المبنيتين على المحاربة بين ملكين عظيمين من ملوك الدنيا تحاربا عليها، وذكر في سورة لقمان قصة عبد مملوك زاهد في الدنيا، أوصى ابنه بما يأبى المحاربة ويقتضي الصبر والمسالمة وبين الأمرين من التقابل ما لا يخفى[1].

سادسًا: مقاصدها التوعوية:

إن من يتدبر السورة الكريمة يمكنه استخلاص بعض المقاصد النافعة التي تعود بالخير على البشرية في عاجل أمرها وآجله، ومنها:

١- التنويه بهدي القرآن ففيه إرشاد الناس للخير، وعرض جانب من صفات المؤمنين ومآلهم، والمشركين والتحذير مما هم فيه وعاقبتهم.

(١) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان: (٤٠٨/٨)، روح المعاني للألوسي: (٦٥/١١)، تفسير المراغي: (٧٢/٢١).

٢- معالجة قضية العقيدة في نفوس المشركين الذين انحرفوا عن تلك الحقيقة، بإقامة الأدلة على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته، وتقرير عقيدة البعث والجزاء..

٣- مشروعية الوعظ والإرشاد للكبير والصغير والقريب والبعيد؛ للتحذير من الإشراك بالله، والأمرُ ببر الوالدين، ومراقبة الله لأنه عليم بخفيات الأمور، وإقامة الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل.

٤- تقرير مبدأ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق بعدم طاعة الوالدين في غير المعروف، ووجوب اتباع سبيل المؤمنين من أهل السنة والجماعة وحرمة اتباع سبيل أهل البدع والضلالة.

٥- تذكير المشركين بدلائل وحدانية الله تعالى وبنعمه عليهم منها ما يتعلق بخلق السموات، ومنها ما يتعلق بخلق الأرض، وكيف أعرضوا عن هديه وتمسكوا بما ألفوا عليه آباءهم.

٦- التأكيد على أن إعمال الفكر والعقل، وذم التقليد الأعمى منهج إسلامي في الاستدلال على وحدانية الله تعالى.

٧- الرد على المعارضين للقرآن في قوله: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ} [لقمان: ٢٧] وما بعدها.

٨- التحذير من دعوة الشيطان، والتنبيه إلى بطلان ادعاء الكهان علم الغيب، وبيان مفاتح الغيب الخمسة، واختصاص الله تعالى بمعرفتها[١].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور: (١٣٩/٢١)، التفسير الوسيط للإمام الأكبرأ.د/ محمد طنطاوي: (١٠٧/١١ وما بعدها)، أيسر التفاسير للجزائري: (١٩٦/٤ وما بعدها)، أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، د/ عبد الله محمود شحاته: ص (٢٩٣) وما بعدها.

ومن يتأمل السورة الكريمة، يراها خاطبت النفس البشرية، بما من شأنه أن يسعدها ويحييها حياة طيبة، بأسلوب بالغ التأثير، يرضى العواطف، ويقنع العقول.

المبحث الثاني

وصايا لقمان وأثرها في بناء الوعي

الوصية الأولى: الدعوة إلى التوحيد:

قال تعالى: { وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } [لقمان: ١٣] لما بين سبحانه فساد اعتقاد المشركين بإشراك من لا يخلق بمن خلق، بالاستفهام التقريعي التوبيخي في قوله تعالى: { هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ } [لقمان: ١١] مسجلًا عليهم الظلم والضلال، ناسب أن يعقبه بشكر الله، وإفراده بالعبادة بالنهي عن الشرك الذي هو أعظم الظلم.

توحيد الله جَلَّجَلَالُهُ قاعدة العقيدة ودعوة جميع الرسل لكل الأمم يقول تعالى: {وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ } [الأنبياء: ٢٥] وقال سبحانه: { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ } [النحل: ٣٦]، والتوحيد أفضل الذكر، وأعلى شعب الإيمان فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «الإيمان بضع وسبعون – أو بضع وستون – شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»(١).

ولذا كان ترسيخ التوحيد بالنهي عن الشرك أول وصايا لقمان لابنه قائلًا: {يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } [لقمان: ١٣]؛ حرصًا على سلامة

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان باب شعب الإيمان رقم (٣٥) (٦٣/١)

عقيدته؛ وتحقيقًا لمعنى العبودية الخالصة لله عَزَّوَجَلَّ؛ إذ التوحيد هو الغاية من وجود الثقلين، قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦].

قيل: كان ابنه كافرا ولذا نهاه عن الشرك فلم يزل يعظه حتى أسلم، وكذا قيل في امرأته، وقيل: كان مسلما والنهي عن الشرك تحذير له عن صدوره منه في المستقبل.

وجاء وعظ لقمان ابنه بقوله:{يَبُنَيَّ } [لقمان:١٧] تعطفا، وتحببا، ورحمة، وإظهارًا للعلاقة الحانية ما يترتب عليها تفاعلًا تربويًّا يحدث اقتناعًا داخليًّا، وتجاوبًا نفسيًّا بين الطرفين، كما قرن نهيه عن الشرك بذكر ما ينفر منه ويرهبه قائلًا:" إن الشرك لظلم عظيم" مشتملاً على أكثر من مؤكد إن، واسمية الجملة، ولام التوكيد؛ مبالغة في التحذير والتنفير من الشرك بالله، وحرصًا منه على تحقيق معنى العبودية الخالصة لله وفاءً بحقه سبحانه.

وذكر الآلوسي ما يفيد أن في الآية مؤكدًا رابعًا وهو القسم فقال:" ومن وقف على لا تُشْرِكْ جعل الباء للقسم أي أقسم بالله تعالى {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } [لقمان: ١٣]، والظاهر أن هذا من كلام لقمان ويقتضيه كلام مسلم في صحيحه، والكلام تعليل للنهي أو الانتهاء عن الشرك، وقيل: هو خبر من الله تعالى شأنه منقطع عن كلام لقمان متصل به في تأكيد المعنى، وكون الشرك ظلما لما فيه من وضع الشيء في غير موضعه وكونه عظيما لما فيه من التسوية بين من لا نعمة إلا منه سبحانه ومن لا نعمة له[(١)]."

والله عَزَّوَجَلَّ خلق الناس على فطرة التوحيد ليأتيَ دور الآباء في التربية إما ليرسخوا عقيدة التوحيد في القلوب، أو يحيدوا بأبنائهم عنه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ:" كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه[(٢)]."

(١) روح المعاني للآلوسي: (٨٤/١١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين رقم(١٣٨٥) (١٠٠/٢).

وقد كلف الله سبحانه الآباء بالحرص على هداية الأهل ومنهم الأبناء فقال تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ} [التحريم: ٦].

في الآية توجيه للمؤمنين أن يقوموا بواجبهم تجاه أهليهم وهو الأمر بوقاية الإنسان نفسه وأهله النار. وروي عن ابن عباس: قوا أنفسكم وأمروا أهليكم بالذكر والدعاء حتى يقيهم الله بكم، وقال علي وقتادة ومجاهد: قوا أنفسكم بأفعالكم، وقوا أهليكم بوصيتكم[١] . ويقول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فيما رواه عبد الله بن عمر:" كلكم راع وكلكم مسئول، فالإمام راع وهو مسئول، والرجل راع على أهله وهو مسئول، والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسئولة، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول[٢]"

خطورة الشرك بالله وأثر التوحيد في بناء الوعي الأخلاقي:

يمثل الشرك بالله أعظم صور الجحود والنكران شناعة على الإطلاق؛ فهو رأس الخطايا وجماع البلايا؛ ومصدر كل الشرور والمنكرات؛ ولذا وصفه سبحانه على لسان لقمان بقوله تعالى: {إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣} [لقمان:١٣] تعليلا للنهي عن الشرك بالله، والشرك يحول دون مغفرة الذنوب ويصم صاحبه بالافتراء والضلال، قال تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا} [النساء: ٤٨]، وقال سبحانه: {وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (١٩٤/١٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: النكاح، باب: {قوا أنفسكم وأهليكم نارا} [التحريم: ٦]، رقم (٥١٨٨) (٢٦/٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإمارة، باب: باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، رقم (١٨٢٩) (١٤٥٩/٣).

فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا} [النساء: ١١٦]، فالشرك بالله يخرج صاحبه عن حدود الخير والصلاح، ويفسد كل فطرته بحيث لا تصلح أبداً.

كما أن الشرك يمنع صاحبه من دخول الجنة ويخلده في النار يقول تعالى: {إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ } [المائدة: ٧٢].

يقول فضيلة الإمام الأكبر أد/ محمد سيد طنطاوي:" وجمع- سبحانه- بين العقوبة السلبية للمشركين وهي حرمانهم من الجنة وبين العقوبة الإيجابية وهي استقرارهم في النار، للإشارة إلى عظيم جرمهم حيث أشركوا بالله، وتقولوا عليه الأقاويل الباطلة التي تدل على جهلهم وسفاهتهم[١]."

والشرك بالله يكدر العيش وينغص الحياة ويوقع في الضيق وشبه الله حال المشرك مآله بمن تخطفته جوارح الطير بسرعة فمزقت أوصاله، أو تسقطه الريح في مكان بعيد حيث لا يعثر له على أثر، فقال تعالى: {وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ } [الحج: ٣١]. قال الزمخشري: "يجوز في هذا التشبيه أن يكون من المركب والمفرق، فإن كان تشبيها مركبا فكأنه قال: من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس بعده نهاية، بأن صور حاله بصورة حال من خرّ من السماء فاختطفته الطير، فتفرق مزعا[٢] في حواصلها، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح[٣] البعيدة. وإن كان مفرقا فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء، والذي ترك الإيمان

(١) التفسير الوسيط، لفضيلة الإمام الأكبر أد/ محمد سيد طنطاوي: (٢٣٨/٤).
(٢) مفرده «مُزعة» بالضم. والمُزْعَةُ: قِطْعَةٌ من اللَّحْم مقاييس اللغة لابن فارس: (٣١٨/٥).
(٣) المَطاوِحُ: المَقاذِف. وطَوَّحته الطوائح: قذفته القواذف. الصحاح للجوهري: (٣٨٩/١)، والقاموس المحيط للفيروزآبادي: (٢٣٢/١) مادة طوح.

وأشرك بالله بالساقط من السماء، والأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة، والشيطان الذي يطوّح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوى بما عصفت به في بعض المهاوى المتلفة [١].

وقد جعله الله سببًا في حبوط الأعمال الصالحة فقال سبحانه: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } [الزمر: ٦٥]، فقد أقسم سبحانه أن الشرك لو وقع من الأنبياء؛ فسيكون سببًا في حبوط العمل مؤكدا جواب قسمه باللام ونون التوكيد، ومن ثم العطف عليه بتأكيد الخسارة الناجمة عن حبوط العمل.

وذكر الزمخشري أن هذا القسم منه سبحانه مع علمه أنّ رسله لا يشركون ولا تحبط أعمالهم إنما هو على سبيل الفرض، والمحالات يصح فرضها لأغراض، فكيف بما ليس بمحال[٢].

أثر التوحيد في بناء الوعي الأخلاقي:

١- التوحيد يصون للمؤمن كرامته ويحرره من عبودية غير الله تعالى ليقينه أنه لا إله إلا الله ولا معبود بحق سواه، ويحفظه من الامتهان والإذلال لمخلوقات لا تملك لنفسها نفعًا ولا ضرا، وقد أخبر سبحانه عن جهلهم وزيف عبادتهم قائلًا: {وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾} [الفرقان: ٣].

٢- التوحيد يبعث في النفس الطمأنينة والاستقرار فيعمل على تكوين شخصية متزنة لايعتريها الخلل، ولاتتنازعها الأهواء، ولاتتقاسمها الآلهة، وأنكر سبحانه على لسان يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ تعدد الآلهة لما يوجبه من خلل وفساد

(١) الكشاف للزمخشري : (١٥٥/٣)
(٢) ينظر: الكشاف للزمخشري: (١٤١/٤، ١٤٢).

فقال تعالى: {يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ} [يوسف: ٣٩]، وقال جَلَّجَلَالُهُ: {ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ } [الزمر: ٢٩]، كما يمنح المؤمن قوة روحية ونفسية ترتقي بشخصيته فلا يرجو غير الله، ولا يعتمد على سواه، فيكون شعاره قول الله تعالى: {وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ} [الأنعام: ١٧]، وقول رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لابن عباس «يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف[(١)]"

٣- يترتب على التوحيد الأمن والهداية الذي عليه مدار النعم الظاهرة والباطنة الدينية والدنيوية، العاجلة والآجلة، {ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ} [الأنعام: ٨٢] فإنه لما نزلت تلك الآية كما هو صحيح البخاري في غير موضع عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه شق ذلك على الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ فقالوا: أيّنا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ:" إنه ليس بذاك، ألم تسمع إلى قول لقمان {إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿١٣﴾} [لقمان: ١٣] [(٢)]."

٤- التوحيد يجعل المؤمن يحيا حياة طيبة في الدنيا والآخرة،قال تعالى:{مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم

(١) أخرجه الترمذي في سننه رقم : (٢٥١٦) (٦٦٧/٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.
(٢) نظم الدرر : (١٥/ ١٦٢)، وينظر: صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى {وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ} [لقمان:١٢].رقم: (٣٤٢٨) (١٦٣/٤).

بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾} [النحل: ٩٧] ويمنعه من اتباع الشياطين قال تعالى: { إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾} [النحل: ٩٩-١٠٠].

٥- في التوحيد نجاة من الشدائد وتفريج للكروب { وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾} [الأنبياء: ٨٧-٨٨].

٦- التوحيد أساس لإثبات الإخاء والمساواة، وإشعار الإنسان بعزته وكرامته، فعندما يكون الكل عبادا لله تتأصل المساواة، ولا يكون هناك إخاء عندما يعبد البعض منهم غيره، ولذا كان رسول الله يختتم دعوته إلى رؤساء الدول والملوك بقوله تعالى: {تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ } [آل عمران: ٦٤]

٧- التوحيد ليس مجرد التلفظ بكلمته بل اعتقادها قلبًا ولسانًا وعملًا بمضمونها متمثلًا قوله تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾} [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

الوصية الثانية: بر الوالدين:

قال تعالى:{ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ} [لقمان: ١٤-١٥]

اختلف في كون هذه الوصية من كلام لقمان أم خبرًا من الله تعالى؟ وإلى الثاني ذهب الطبري وأنها في معنى كلام لقمان، وقال الزمخشري: "اعتراض

على نهج الاستطراد في أثناء وصية لقمان تأكيدا لما فيها من النهي عن الشرك"، وكذا ابن عطية، والقرطبي اعتمادا على سبب النزول[١].

ويرى البقاعي: أن "ووصينا" أي: قال لقمان ذلك لولده نصحاً له والحال أنا بعظمتنا وصينا ولده به بنحو ما أوصاه به في حقنا.[٢]"، وقال ابن عاشور: "وعلى كلا الاعتبارين – يعني أكانت الوصية بالوالدين من الله أو من حكمة لقمان لا يحسن ما ذهب إليه جمع من المفسرين أن هذه الآية نزلت في قضية إسلام سعد بن أبي وقاص وامتعاض أمه، لعدم مناسبته السياق ولأنه قد تقدم أن نظير هذه الآية في سورة العنكبوت نزل في ذلك، وأنها المناسبة لسبب النزول، فإنها أُخلِيت عن الأوصاف التي فيها ترقيق على الأم بخلاف هذه، ولا وجه لنزول آيتين في غرض واحد ووقت مختلف.[٣]"

قال ابن حجر:" ويظهر لي أن الآيتين مما كانتا في الأصل ثابتتين فسقط بعضهما على بعض الرواة، والله أعلم.[٤]"

وأرى ترجيح ما ذهب إليه الطاهر ابن عاشور أن الآيتين في سورة لقمان لا صلة لهما بقضية سعد، ولعل إضافة آية لقمان للحديث جاءت من باب أن موضوع الآيتين واحد، ومن هنا أدرجها بعض الرواة في الحديث. وتوجيه ابن عاشور صحيح؛ فإن الله لو رقق قلبه على أمه بتعداد أفضالها لربما تعسر عليه مخالفتها، لكن الله أمره بالإحسان عموماً، ونهاه عن الشرك.[٥]"

---

(١) جامع البيان:(١٣٩/٢٠)، الكشاف: (٤٩٤/٣)، المحرر الوجيز: (٣٤٨/٤)، الجامع لأحكام القرآن: (٦٣/١٤).

(٢) نظم الدرر: (١٦٣/١٥).

(٣) التحرير والتنوير: (١٥٧/٣١).

(٤) فتح الباري : (٤٠٠/١٠).

(٥) ينظر: المحرر في أسباب النزول : (٧٩٢/٢).

والوصية بالوالدين تكررت في آيات القرآن الكريم وفي أحاديث النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾} [البقرة: ٨٣]، وقال تعالى: { ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا } [النساء: ٣٦]، وقال تعالى: { ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ} [الأنعام: ١٥١]، وقال تعالى: { ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا } [الإسراء: ٢٣-٢٤]، وقال تعالى: {وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ } [العنكبوت:٨]، وقال تعالى: {وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ } [الأحقاف: ١٥].

وقد قرن الله شكره بشكر الوالدين؛ دلالة على وجوبه وعظم حقهما على الولد، فبر الوالدين يجلب رضا الله، ومن أحب الأعمال إليه تعالى، ويعدل الجهاد في سبيل الله، كما أنه يعين على تفريج الكروب، وتكفير الخطايا، وإجابة الدعاء، وهذا ما بينه الحبيب المصطفى صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ:"رضا الرب في رضا الوالد وسخط الرب

في سخط الوالد [١]" وعن عبد الله بن مسعود قال: سألت النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: " الصلاة على وقتها"، قال: ثم أي؟ قال:" ثم بر الوالدين" قال: ثم أي؟ قال:" الجهاد في سبيل الله»[٢]، وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رجل للنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أجاهد؟ قال: «لك أبوان؟» قال: نعم، قال: «ففيهما فجاهد»[٣]، وعن ابن عمر ، عن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: " بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر، فمالوا إلى غار في الجبل، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فأطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالا عملتموها لله صالحة، فادعوا الله بها لعله يفرجها. فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران، ولي صبية صغار، كنت أرعى عليهم، فإذا رحت عليهم فحلبت بدأت بوالدي أسقيهما قبل ولدي، وإنه ناء بي الشجر، فما أتيت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحلب، فجئت بالحلاب فقمت عند رءوسهما، أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما، والصبية يتضاغون عند قدمي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة نرى منها السماء. ففرج الله لهم فرجة حتى يرون منها السماء[٤]."

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب البر والصلة رقم : (٧٢٤٩) (١٦٨/٤)، وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: مواقيت الصلاة، باب: فضل الصلاة لوقتها، رقم: (٥٢٧) (١١٢/١)، ومسلم في صحيحه كتاب : الإيمان، باب: بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، رقم : (٨٥) (٨٩/١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: لا يجاهد إلا بإذن الأبوين، رقم: (٥٩٧٢) (٣/٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: إجابة دعاء من بر والديه، رقم: (٥٩٧٤) (٣/٨).

وقد أخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن عقوق الوالدين من أكبر الكبائر فعن أبي بكرة، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: " الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئا فجلس فقال: ألا وقول الزور، وشهادة الزور، ألا وقول الزور، وشهادة الزور " فما زال يقولها، حتى قلت: لا يسكت.(١)"

والإحسان إلى الوالدين يكون باللسان؛ فيتجنب قول ما يؤذيهما ولو كان مجرد التضجر، ويحرص على الطيب من القول، ويلهج لسانه بالدعاء والاستغفار لهما على الدوام، يقول تعالى: {فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا } [الإسراء: ٢٣]، ويكون الإحسان بالفعل والجوارح وذلك بطاعتهما والقيام على خدمتهما والإنفاق عليهما عند الحاجة والتواضع لهما ومعاملتهما بالرفق واللين وتنفيذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وقضاء ديونهما، وتقديم كل ما يمكن من إرضائهما في غير معصية، قال تعالى: { وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾} [الإسراء: ٢٤]. فقوله سبحانه: { وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا} [لقمان: ١٥]. تأكيد على نبذ الشرك وتفظيعه بمخالفة من تجب طاعته" فلا تطعهما"، وبيان أن رابطة العقيدة تعلو رابطة النسب، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ومع ذلك وجهنا سبحانه بمصاحبتهما بالمعروف ولو كانا كافرين.

وقيد الصحبة بكونها في الدنيا تهوينا لشأن الصحبة، التي هي أيام محدودة، وسنوات معدودة، سريعة الزوال والانقضاء(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: عقوق الوالدين من الكبائر، رقم: (٥٩٧٦) (٤/٨).

(٢) ينظر: التفسير المنير للزحيلي: (١٤٨/٢١).

يقول القرطبي:" طاعة الأبوين لا تراعى في ركوب كبيرة ولا في ترك فريضة على الأعيان، وتلزم طاعتهما في المباحات"(١).

أثر بر الوالدين في بناء الوعي الأخلاقي:

١- بر الوالدين يغرس في النفوس شكر الجميل والاعتراف به لصاحبه فكما أمرنا الله بشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى وأولها الإيجاد الحقيقي، أمرنا بشكر الوالدين على نعمة الإيجاد الصورى المتمثلة في الحمل والرعاية، وفي الأمر بشكر الفضائل تنويه بها، وتنبيه على التنافس في أدائها.

٢- يقوي روابط الأسرة، ويوثق الترابط بين أفراد المجتمع، ويربي التحاب والتواد في نفوسهم؛ بما يحقق صلاحًا عظيمًا للأمة تظهر آثاره في مواساة بعضهم بعضًا، وفي اتحاد بعضهم مع بعض؛ فتتجلى آثار العدالة والرحمة.

٣- التأكيد على حق الوالدين وتبعيته لحق الله؛ ما ينشر الأمن في المجتمع، ويجعل الطمأنينة تسود لدى كبار السن إذا زرعوا بذورًا طيبة في نفوس أبنائهم، فينعم الجميع بالاستقرار النفسي والمجتمعي.

٤- توفيق العبد للطاعات والفوز بالفلاح في الدنيا والآخرة، وصلاح ذريته؛ فمن بر والديه تبره أبناؤه؛ قال تعالى في وصف يحيي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: {وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾} [مريم: ١٤-١٥]، وقال تعالى في عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: {وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾} [مريم: ٣٢-٣٣]، فسيدنا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لزم دعوة والده والإشفاق عليه من الكفر، ورغم قسوته وإصراره {قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾

(١) الجامع لأحكام القرآن: (١٤/٦٤).

وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾} [مريم: ٤٧-٤٨]، فأصلح الله له ذريته قال تعالى: { فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾} [مريم: ٤٩-٥٠]، فها هو ولده إسماعيل يمتثل للذبح طاعة لله ووالده: {قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ } [الصافات: ١٠٢]، فينجيه سلامًا على أبيه وجزاءً لإحسانه قال تعالى: { وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ } [الصافات: ١٠٧]، ويبشر أباه سبحانه قائلًا: { وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ} [الصافات: ١١٢-١١٣].

٥- حسن السمعة فيطيب ذكره ويعلو بين الناس شأنه، ولا أدل على ذلك من قصة أويس القرني(١).

الوصية الثالثة: اتباع سبيل أهل الصلاح:

قال تعالى: {وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } [لقمان: ١٥].

---

(١) أخرجها مسلم في صحيحه عن أسير بن جابر، قال: كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن، سألهم: أفيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى على أويس فقال: أنت أويس بن عامر؟ قال: نعم، قال: من مراد ثم من قرن؟ قال: نعم، قال: فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم؟ قال: نعم، قال: لك والدة؟ قال: نعم، قال سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول:"يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن، من مراد، ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بر، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل" فاستغفر لي، فاستغفر له." كتاب: من فضائل الصحابة، باب: من فضائل أويس القرني رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، رقم (٢٥٤٢) (١٩٦٩/٤).

بعد أن وجه سبحانه بمصاحبة الوالدين بالمعروف في غير معصية أرشد إلى مبدأ بالغ الأهمية بشأن الاتباع وهو وجوب الاقتداء بأهل الاستقامة المنيبين إلى الله وتجنب رفقة السوء لما لها من أثر كبير{وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ } [سورة لقمان:١٥].

يقول الفخر الرازي:" يعني صاحبهما بجسمك فإن حقهما على جسمك، واتبع سبيل النبي عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ بعقلك، فإنه مربي عقلك، كما أن الوالد مربي جسمك.(١)"

ويقول البقاعي:" بالغ في أن تتبع {سَبِيلَ} أي دين وطريق {مَنۡأَنَابَ} أي أقبل خاضعاً {إِلَيَّ} لم يلتفت إلى عبادة غيري، وهم المخلصون من أبويك وغيرهما، فإن ذلك لا يخرجك عن برهما ولا عن توحيد الله والإخلاص له، وفي هذا حث على معرفة الرجال بالحق.(٢)"

وقد وردت لفظة السبيل في القرآن الكريم في خمسة وسبعين ومائة موضع (١٧٥) وردت جمعًا في ثمانية مواضع منها، ومفردة في الباقي على معان منها: طاعة الله، والقدرة والطاقة، والمخرج، والمسلك والطريق، ودين الإسلام، الهدى والحجة، والملة والمذهب، والمؤاخذة والعقوبة.

وجميعها عند التحقيق تعود إلى الطريق ، والسياقات المختلفة للآيات أضفت معنى جديدًا ليفيد معنى أوسع.

والآية وصيةٌ لجميع العالم. وهذه سبيل الأنبياء والصالحين، وقيل سبيل النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وقيل سبيل المؤمنين، وكل ذلك من قبيل اختلاف العبارة؛ لأن سبيل الكل واحد وهو الرجوع إلى الله.

---

(١) مفاتيح الغيب: (٢٥/ ١٢٠).

(٢) نظم الدرر: (١٥/ ١٦٩).

وسبيل من أناب إلى الله، هو سبيل المؤمنين، كما يقول سبحانه: {وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا } [النساء: ١١٥][(١)].

وفي المراد بمَنْ أناب ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أبو بكر الصِّدِّيق، قيل لسعد: اتَّبِع سبيله في الإيمان، قول ابن عباس في رواية عطاء. والثاني: أنه رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، قاله ابن السائب. والثالث: مَنْ سلك طريق محمد وأصحابه[(٢)].

إن شباب اليوم أحوج ما يكونون إلى رفقة صالحة تعينهم على الخير إذا فعلوه، وتذكرهم به إذا نسوه؛ إذ إن الصحبة لها بالغ التأثير على الكثير منهم، والصحبة ليست مجرد أشخاص في محيط الأسرة، أو المسكن أو العمل؛ بل قد تكون عبر وسائل التواصل الاجتماعي؛ لذا وجب على الآباء أن يحثوا أبناءهم على الصحبة الصالحة لأمن سلوكهم، ويحذروهم من مخالطة الفاسدين، يقول تعالى محذرًا من رفقة السوء: {وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ } [الأنعام: ٦٨]، ويقول سبحانه: {وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ} [الأعراف: ١٤٢]، فصديق السوء يُضل عن طريق الحق ويجلب الندم والحسرة، وقد يدفع بصاحبه إلى النار قال تعالى: { وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ٢٩} [الفرقان: ٢٧-٢٩]

وقد أكد النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ على ضرورة أن يتخير المرء صاحبه فعن أبي هريرة، أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، قال: "الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من

(١) التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم يونس الخطيب: (٥٦٩/١١).
(٢) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي: (٣١٣/٧)، وزاد المسير لابن الجوزي: (٤٣١/٣).

يخالل[1]"، وعن أبي سعيد أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: "لا تصاحب إلا مؤمنا، ولا يأكل طعامك إلا تقي"[2].

ثم عقب بالحديث عن اليوم الآخر الذي يجزي فيه أهل الإحسان إحسانا، ويجازي الذين أساءوا السوء بما عملوا فقال سبحانه: {ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ} [آل عمران: ٥٥] ضمير الجمع للإنسان والوالدين، أي مرجع الجميع. وتقديم المجرور للاهتمام بهذا الرجوع أو هو للتخصيص[3]، وهي جملة تتضمن الوعد والوعيد؛ تقريرًا لقضية من قضايا العقيدة، ألا وهي الإيمان باليوم الآخر الذي جعله النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أحد أركان الإيمان حينما سأله جبريل: قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»، قال: صدقت[4]."

ليبعث في النفس التقوى والخشية من يوم لا ريب فيه. {فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ} [العنكبوت: ٨] والإنباء كناية عن إظهار الجزاء على الأعمال.

أثر اتباع سبيل الصالحين في بناء الوعي الأخلاقي:

١- صحبة الصالحين تحقق الترابط بين افراد المجتمع إذ إنها تعمل على الترقي التعبدي والأخلاقي، وتؤثر في تصحيح المفاهيم الخاطئة؛ فتحفظ من الفشل وتردي السلوك، فعن أبي موسى الأشعري، عن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال:"

---

(١) أخرجه أبو داود رقم : (٤٨٣٣) (٢٥٩/٤)، والترمذي وقال حسن غريب: رقم (٢٣٧٨) (٥٨٩/٤).

(٢) أخرجه أبو داود رقم : (٤٨٣٢) (٢٥٩/٤)، والترمذي وقال حسن: رقم (٢٣٩٥) (٦٠٠/٤).

(٣) التحرير والتنوير: (١٦١/٢١).

(٤) أخرجه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم كتاب: الإيمان ، باب: معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة رقم (٨) (٣٦/١).

المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضا[١]." ثم شبك بين أصابعه. وصور النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ هذا الترابط فيما رواه النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: "مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.[٢]"

٢- صحبة الصالحين تسعف إلى التوبة النصوح، فقاتل المائة نفسًا لما أراد التوبة دله العالم إلى أرض يصحب فيها الصالحين:" انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء.[٣]"

٣- اتباع الصالحين يهدي إلى الحق، ويدل على الخير، فقد أسلم أبو ذر بسبب صحبته الراقية لعلي بن أبي طالب[٤]، كما أن أهل الصلاح لايشقى بهم جليسهم ويذكر بذكرهم، فقد رفعت قيمة كلب أهل الكهف حين صحب أهل الصلاح وخُلِّد ذكره بذكرهم.

٤- صحبة الصالحين سبيل لمحبة الله تعالى فقد روى أبو هريرة حديث النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ" أن رجلا زار أخا له في قرية أخرى، فأرصد الله له، على مدرجته، ملكا فلما أتى عليه، قال: أين تريد؟ قال: أريد أخا لي في هذه

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: الأدب، باب: تعاون المؤمنين بعضهم بعضارقم: (٦٠٢٦) (١٢/٨)، ومسلم في صحيحه كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم رقم: (٢٥٨٥) (١٩٩٩/٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم رقم: (٢٥٨٦) (١٩٩٩/٤).

(٣) جزء من حديث أبي سعيد الخدري في صحيح مسلم كتاب: التوبة، باب: قبول توبة القاتل وإن كثر قتله رقم: (٢٧٦٦) (٢١١٨/٤).

(٤) ينظر: سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي): (١٤١/١)، السيرة النبوية لابن كثير: (٤٤٨/١).

القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله عَزَّوَجَلَّ، قال: فإني رسول الله إليك، بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه.(١)"، وهي سبب لدخول الجنة قال تعالى: { ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ } [الزخرف: ٦٧]، وأحد السبعة الذين يظلهم الرحمن في ظل عرشه، فعن أبي هريرة، أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: " سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق، أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه"(٢).

الوصية الرابعة: مراقبة الله عَزَّوَجَلَّ:

قال تعالى: { يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ } [لقمان: ١٦]

لما نهى لقمان ابنه عن الشرك، نبهه على قدرة الله، وأنه لا يمكن أن يتأخر عن مقدوره شيء(٣)، وقد ختمت الآية السابقة بأن الله ينبئنا يوم القيامة بأعمالنا ناسب أن يحث لقمان ولده على مراقبة الله عَزَّوَجَلَّ، بتأكيده على علم الله بكل الأعمال جليلها وحقيرها، وخبرته بجميع الأحوال الخفي منها والجلي على حد

(١) صحيح مسلم كتاب: البر والصلة، باب: في فضل الحب في الله، رقم: (٢٥٦٧) (١٩٨٨/٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: الأذان، باب: من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، رقم: (٦٦٠) (١٣٣/١)، ومسلم في صحيحه كتاب: الزكاة، باب: فضل إخفاء الصدقة رقم: (١٠٣١) (٧١٥/٢).

(٣) البحر المحيط: (٤١٤/٨).

سواء؛ لتنشط داخله مشاعر العبودية، والاعتراف بالعجز التام أمام قدرة الله المطلقة، وعلمه الذي لا يحد فيستقيم سره وعلانيته. ونظير هذا المعنى قوله تعالى: {وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾} [الأنبياء: ٤٧].

وكرر النداء{ يَٰبُنَيَّ } لتجديد نشاط السامع لوعي الكلام وحرصًا على قبوله الموعظة، اختلف أهل العربية في معنى الهاء والألف اللتين في قوله: {إِنَّهَا} فقال بعض نحويي البصرة: ذلك كناية عن المعصية والخطيئة. ومعنى الكلام عنده: يا بنيّ، إن المعصية إن تك مثقال حبة من خردل، أو إن الخطيئة. وقال بعض نحويي الكوفة: وهذه الهاء عماد. وقال: أنَّث تك، لأنه يراد بها الحبة، فذهب بالتأنيث إليها(١). و{مِثْقَالَ}: قرأ المدنيان بالرفع؛ فتكون كان تامة، لا تحتاج خبرا، والباقون بالنصب خبر كان، واسمها ضمير مستتر يعود إلى المعصية المكنى عنها(٢).

ومثقال بكسر فسكون: وزن الشيء وثقله، والخردل: نبات له حب صغير جدا أسود مقرّح الواحدة خردلة ويقال خردل الطعام أكل خياره وخردل اللحم قطع أعضاءه وافرة صغارا، ولحم خراديل: مقطع ومفرد ويضرب بها المثل في الضآلة(٣).

وقوله تعالى {يَأْتِ بِهَا} [لقمان: ١٦] كناية عن التمكن منها والعلم بها؛ لأن الإتيان بأدق الأجسام من أقصى الأمكنة وأعمقها وأصلبها لا يكون إلا عن علم وقدرة(٤).

---

(١) جامع البيان للطبري: (١٤٠/٢٠).
(٢) ينظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري: (٣٢٤/٢)، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر لمحمد سالم محيسن: (٥٧/٣).
(٣) إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين درويش: (٥٣٩/٧).
(٤) ينظر: التحرير والتنوير : (١٦٣/٢١).

وقد أرشدنا سبحانه في غير ما موضع من القرآن الكريم إلى مراقبته؛ و اكد على سعة علمه وإحاطته، وأنه لا تخفى عليه خافية فقال تعالى: {وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ } [البقرة: ٢٣٥]، وقال تعالى: { إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ } [آل عمران: ٥]، وقال تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } [النساء: ١]، وقال سبحانه: { وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ } [يونس: ٦١]، وقال تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } [المجادلة: ٧]، وقال تعالى: { فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ} [الزلزلة: ٧-٨].

والمراقبة تعني: استدامة علم العبد باطلاع الرب عليه في جميع أحواله(١).

وتكون مراقبته تعالى في الطاعة بالحرص على أدائها، وفي المعصية بالتخلي عنها، وقد سماها النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إحسانا في جوابه على سؤال جبريل عَلَيْهِٱلسَّلَامُ:" قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.(٢)" وهو معنى المراقبة. ومما قيل فيها:

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ما مضى ولا أن ما يخفى عليه يغيب(٣)

---

(١) التعريفات للجرجاني: ص (٢١٠).

(٢) أخرجه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم كتاب: الإيمان ، باب: معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة رقم (٨) (١/٣٦).

(٣) البيتين من بحر الطويل ديوان أبي العتاهية، دار بيروت، ص: (٣٤).

وقد ذم الله تعالى من يراقبون الناس ولا يراقبونه سبحانه: { يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾} [النساء: ١٠٨]، وحذَّر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ممن يتظاهرون أمام الناس بالصلاح وينتهكون حرمات الله في الخفاء ففي الحديث عَنْ ثَوْبَانَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: "لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا.(١)"

أثر مراقبة الله سبحانه في بناء الوعي الأخلاقي:

١- تربي في الفرد المراقبة الذاتية، والاستقامة على أمر الله، وترك المعاصي فعن زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، قَالَ: مَرَّ ابْنُ عُمَرَ بِرَاعِي غَنَمٍ فَقَالَ: يَا رَاعِيَ الْغَنَمِ هَلْ مِنْ جَزْرَةٍ قَالَ الرَّاعِي: لَيْسَ هَا هُنَا رَبُّهَا، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: تَقُولُ: «أَكَلَهَا الذِّئْبُ» فَرَفَعُ الرَّاعِي رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: فَأَيْنَ اللهُ؟ فَاشْتَرَى ابْنُ عُمَرَ الرَّاعِي وَاشْتَرَى الْغَنَمَ فَأَعْتَقَهُ، وَأَعْطَاهُ الْغَنَمَ(٢)"، وتحسين العبادة فإذا عُبِد الله بمنهجه الذي أراده بالإيمان والعمل تمت له الخلافة والتمكين الموعود به من الله سبحانه: { وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ} [النور: ٥٥].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه رقم (٤٢٤٥) (١٤١٨/٢) وإسناده صحيح تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير: رقم: (١٣٠٥٤) (٢٦٣/١٢).

٢- تفريج الكروب من آثار مراقبة الله عز وجل، روى ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: " بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر، فمالوا إلى غار في الجبل، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فأطبقت عليهم... وقال الثاني: اللهم إنه كانت لي ابنة عم أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء، فطلبت إليها نفسها، فأبت حتى آتيها بمائة دينار، فسعيت حتى جمعت مائة دينار فلقيتها بها، فلما قعدت بين رجليها قالت: يا عبد الله اتق الله، ولا تفتح الخاتم، فقمت عنها، اللهم فإن كنت تعلم أني قد فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها. ففرج لهم فرجة.[١]"

٣- توريث الإخلاص، وتذوق حلاوة الإيمان، ففي الحديث أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: " ثلاث من فعلهن فقد طعم طعم الإيمان: من عبد الله وحده، فإنه لا إله إلا الله، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه رافدة عليه في كل عام، ولم يعط الهرمة، ولا الدرنة، ولا الشرط اللئيمة، ولا المريضة، ولكن أوسط أموالكم فإن الله عَزَّوَجَلَّ لم يسألكم خيره، ولم يأمركم بشره، وزكى عبد نفسه " فقال رجل: وما تزكية المرء نفسه يا رسول الله؟ قال: " يعلم أن الله معه حيث كان[٢]."

الوصية الخامسة: إقامة الصلاة:

قال تعالى: { يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ } [لقمان: ١٧].

لما نهى لقمان عَلَيْهِ السَّلَامُ ابنه عن الشرك، وبين علم الله سبحانه وقدرته، وما يلزم عنهما من الحساب في اليوم الآخر؛ وجهه إلى أمهات العبادات التي يتوسل بها إلى الله تعالى كبرهان على صدق العقيدة.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: إجابة دعاء من بر والديه، رقم: (٥٩٧٤) (٣/٨).

(٢) شعب الإيمان للبيهقي: رقم: (٣٠٢٦) (٩/٥) وإسناده حسن.

يربي لقمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في ولده التقرب إلى الله بعبادة الصلاة لما لها من شأن عظيم في كل الشرائع السابقة، فتجد سيدنا إبراهيم يقول: {رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ} [إبراهيم: ٣٧]، وقول سبحانه عن سيدنا إسماعيل: {وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ٥٥} [مريم: ٥٥]، والصلاة مما أخذه الله على بني إسرائيل يقول تعالى: {وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ} [البقرة: ٨٣]، وقال سبحانه لمريم عليها السلام: {يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣} [آل عمران: ٤٣]، وعن عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يقول سبحانه: {وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ٣١} [مريم: ٣١]. وأيده شرعنا فكانت عمود الإسلام، وركنه الثاني فرضت على كل مسلم مكلف لا تسقط عنه بحال ما دامت نفسه بين جنبيه، حتى ولو كان في الحرب قال تعالى: {حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانٗاۖ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ٢٣٩} [البقرة: ٢٣٨-٢٣٩]، وجعلت علامة على صدق الإيمان قال تعالى: {فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ } [سورة التوبة:١١]، وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، تكفر الذنوب وترفع الدرجات، فعن أبي هريرة أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: وفي حديث بكر، أنه سمع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول: "أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟" قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: " فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا"[(١)] ، إذ

(١) صحيح مسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل الصلوات الخمس ، رقم: (٦٦٧) (٤٦٢/١).

الصلاة صلة بين العبد وربه وهي أعظم العبادات البدنية وأحب الأعمال إلى الله، وقد توعد الله سبحانه من ضيعوها بالهلاك: { ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا } [مريم: ٥٩]، وفسر بعض العلماء إضاعة الصلاة بتأخير وقتها والتهاون في أدائها(١)، وقال سبحانه: {فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥} [الماعون: ٤-٥]، عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة»(٢). وقال عمر رحمه الله:" لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة(٣)"، وتارك الصلاة يعيش في ضنك، وظلمة قلب، وحرمان رزق، وبغض خلق، ونزول البلاء، وحرمان من توفيق الله، وعُدَّ من تركها كافرًا؛ دلالة على عظم مكانتها، وخطورة التفريط فيها.

والصلاة أصلها في اللغة الدعاء، مأخوذة من صلى يصلي إذا دعا، قال تعالى:{ وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ} [التوبة:١٠٣] أي ادع لهم. وقال قوم: هي مأخوذة من الصلا، وهو عرق في وسط الظهر ويفترق عند العجب فيكتنفه، وقيل: هي مأخوذة من اللزوم، ومنه صلي بالنار إذا لزمها، ومنه{تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةً} [الغاشية: ٤]. وكأن المعنى على هذا ملازمة العبادة على الحد الذي أمر الله تعالى به. وقيل: هي مأخوذة من صليت العود بالنار إذا قومته ولينته بالصلاة(٤)، فكأن المصلي يقوم نفسه بالمعاناة فيها ويلين ويخشع، والصلاة: الدعاء والصلاة: الرحمة، ومنه: (اللهم صل على محمد) الحديث. والصلاة: العبادة، ومنه قوله تعالى: { وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ } [الأنفال: ٣٥] الآية، أي عبادتهم. والصلاة:

(١) ينظر: جامع البيان للطبري: (٢١٥/١٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: (٢٤٤/٥).
(٢) شرح السنة للبغوي: رقم:(٣٤٧) (١٧٩/٢).
(٣) شرح السنة للبغوي:(١٧٩/٢)..
(٤) الصلاء: صلاء النار بكسر الصاد ممدود، فإن فتحت الصاد قصرت، فقلت صلا النار.

النافلة، ومنه قوله تعالى:{وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ} [طه: ١٣٢]. والصلاة التسبيح، ومنه قوله تعالى: {فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ} [الصافات: ١٤٣] أي من المصلين. ومنه سبحة الضحى. وقد قيل في تأويل:{نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ} [البقرة: ٣٠] نصلي. والصلاة: القراءة، ومنه قوله تعالى: {وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ} [الإسراء: ١١٠] فهي لفظ مشترك. والصلاة: بيت يصلى فيه، قاله ابن فارس. وقد قيل: إن الصلاة اسم علم وضع لهذه العبادة، فإن الله تعالى لم يخل زمانا من شرع، ولم يخل شرع من صلاة[١]. قلت: فعلى هذا القول لا اشتقاق لها[٢].

وشرعًا: اسم لأفعال وأقوال مخصوصة مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم[٣].

ومعنى إقامة الصلاة: تعديل أركانها وحفظها من أن يقع خلل في فرائضها وسننها وآدابها، من أقام العود إذا قومه. وثانيها: أنها عبارة عن المداومة عليها كما قال تعالى:{وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ} [المعارج: ٣٤] وقال: {ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ} [المعارج: ٢٣][٤]"

وعن عبد الله بن عمرو، عن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: أنه ذكر الصلاة يوما، فقال:" من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف[٥]".

---

(١) ينظر: لطائف الإشارات لأبي نصر القشيري: (٩٩/٢).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (١٦٩/١).

(٣) السراج المنير للخطيب الشربيني: (١٨/١)، عمدة الأحكام من كلام خير الأنام صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لعبد الغني المقدسي (المتوفى: ٦٠٠هـ): ص (٥٣).

(٤) مفاتيح الغيب: (٢٧٤/٢).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده : رقم (٦٥٧٦) (١٥٠/٦)، وإسناده صحيح.

أثر إقامة الصلاة في بناء الوعي الأخلاقي:

١- إقامة الصلاة تمد الإنسان بطاقة روحية تشعره بالصفاء واطمئنان القلب والأمن النفسي.

٢- إقامة الصلاة دعوة إلى الطهارة الحسية والمعنوية من الثوب والبدن والمكان والنفس قال تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦} [المائدة: ٦].

٣- تهذب الأخلاق وتقيم السلوك؛ فتترك في نفس صاحبها أثرًا يجنبها الفحشاء والمنكر، ويجعله يتحلى بمكارم الأخلاق قال تعالى: { ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ٤٥} [العنكبوت: ٤٥].

٤- تجلي الهموم وتذهب الأحزان؛ لذا أمرنا سبحانه بالاستعانة بها فقال: {وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ} [البقرة: ٤٥].

٥- تنمي شخصية الفرد وتمكنه من القيام بجلائل الأعمال؛ فيجدد العهد مع الله، قال تعالى: {وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤} [طه: ١٤].

٦- تعمل على جمع كلمة المسلمين، وتوحيد صفوفهم، وتساعد في تكوين علاقات اجتماعية، وصداقات من خلال الجماعة في المسجد(١)، وصلاة

(١) ينظر: القرآن وعلم النفس، د/ محمد عثمان نجاتي ص(٢٦٩)، طبع دار الشروق الثانية، ١٩٨٥م.

الجمعة قال تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ} [الجمعة: ٩].

٧- المحافظة على إقامة الصلاة تحفظ من الوقوع في الرذيلة، وأعظم وسيلة للقرب من الله عَزَّوَجَلَّ {قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١} [المؤمنون: ١] . وعن أبي هريرة أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال:" أقرب ما يكون العبد من ربه، وهو ساجد، فأكثروا الدعاء[١]".

٨- الصلاة تجعل المسلم يقدر قيمة الوقت ليسوس أعماله، ويدبر أموره، ويتفقد أوقات الصلاة، قال تعالى: {إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣} [النساء: ١٠٣]، ورحم الله أمير الشعراء "وتجزئة الوقت مع الصلاة ملحوظة، وقيمته عند الذين يقيمونها محفوظة، عودتهم أن يذكروه، ويقدروه، وأن يسوسوه في أعمالهم ويدبروه، والوقت ميزان المصالح، وملاك الأمور، ودولاب الأعمال[٢]."

الوصية السادسة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال تعالى: {وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ} [لقمان: ١٧].

علاقة الوصية بما قبلها:

لما كانت إقامة الصلاة من شأنها إصلاح نفس صاحبها، وحثه على اجتناب الفحشاء والمنكر، والأخلاق السيئة، كما قال الحق سبحانه: {إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ} [العنكبوت: ٤٥] وبذلك يصبح الإنسان صالحًا في نفسه، ويصير مهيئًا لأن يصلح غيره؛ ولذلك بعدما أوصى لقمان ابنه بإقامة

(١) صحيح مسلم كتاب: الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود، رقم: (٤٨٢) (٣٥٠/١).

(٢) أسواق الذهب لأحمد شوقي: ص (٨٧) ط دار مصر.

الصلاة أردف ذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال: {وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ} [لقمان: ١٧].

والمعنى:" إذا كَمُلْتَ أنت في نفسك بعبادة الله، فَكَمِّلْ غيرك، فإن شغل الأنبياء، وورثتهم من العلماء هو أن يَكْمُلُوا في أنفسهم، وَيُكْمِلُوا غيرهم"(١).

هذا وسوف ينتظم الحديث عن وصية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خلال ما يأتي:

أولاً: تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كمصطلح مركب:

الأمر بالمعروف هو: الإرشاد إلى المراشد المنجية، والنهي عن المنكر: الزجر عما لا يلائم في الشريعة، وقيل: الأمر بالمعروف: الدلالة على الخير، والنهي عن المنكر: المنع عن الشر، وقيل: الأمر بالمعروف: أمرٌ بما يوافق الكتاب والسنة، والنهي عن المنكر: نهيٌ عما تميل إليه النفس والشهوة، وقيل الأمر بالمعروف إشارة إلى ما يرضي الله – تعالى – من أفعال العبد وأقواله، والنهي عن المنكر: تقبيح ما تنفر عنه الشريعة والعفة، وهو ما لا يجوز في دين الله تعالى(٢).

وبالنظر فيما سبق يمكن القول بأن المقياس المنضبط والثابت في تحديد المعروف والمنكر هو: الكتاب والسنة، فما كان حسنًا في الكتاب والسنة فهو المعروف، وما كان قبيحًا في الكتاب والسنة فهو المنكر.

ثانيًا: فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له فضل كبير، ومنزلة عظيمة في الإسلام؛ إذ إنه أحد وسائل حفظ الدين، وإصلاح الفرد، والنهوض بالمجتمع؛ لذا

---

(١) مفاتيح الغيب(١٢١/٢٥).

(٢) ينظر: التعريفات، للجرجاني (صـــ ٣٧).

جعله الله – تبارك وتعالى – وظيفة أنبيائه ورسله – عليهم صلوات الله وسلامه – ووظيفة أتباعهم، فقد وصف الحق سبحانه به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بل عده أول أوصافه العملية حيث يقول تعالى: { ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ} [الأعراف: ١٥٧]، وقد جعله الله سمة الخيرية لهذه الأمة، فقال في مدحها: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ} [آل عمران: ١١٠]، وأوجب الله تبارك وتعالى على الأمة المحمدية أن تقوم طائفة ببيان المعروف، والأمر به، وبيان المنكر، والنهي عنه(١)، فقال تعالى:{وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾} [آل عمران: ١٠٤]، كما جعله المولى سبحانه من مستلزمات الإيمان، قال تعالى: { وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ } [التوبة: ٧١]، وأوضح أنه أعظم وأفضل صفات المؤمنين فقال: {ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّآئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾} [التوبة: ١١٢]، كما عدَّ الحق سبحانه الصفة المضادة لذلك من أخص وأخس

(١) فائدة: الأمر والنهي أحد أقسام القول والكلام، وعليه يكون التكليف هو بيان المعروف، والأمر به، وبيان المنكر، والنهي عنه، وأما امتثال المأمورين والمنهيين لذلك، فموكول إليهم، أو إلى ولاة الأمور الذين يحملونهم على فعل ما أمروا به، وأما ما جاء في حديث: (من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه)، فذلك مرتبة التغيير، والتغيير يكون باليد، ويكون بالقلب، أي تمني التغيير، وأما الأمر والنهي فلا يكونان بهما. ينظر: التحرير والتنوير(٤١/٤)، والحديث أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، رقم: ٧٨، (٦٩/١)

أوصاف المنافقين فقال: { ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ } [التوبة: ٦٧]، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون ويدوم التمكين في الأرض قال تعالى: { ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ } [الحج: ٤١] كما أبان الحق سبحانه أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أوصاف أهل الكتاب الذين تابعوا الرسول – صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ – وصدقوه، وما جاء به قال تعالى: { ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ } [آل عمران: ١١٣-١١٤]، كما ذم الله تبارك وتعالى من لم يتصف بهذه الصفة من أهل الكتاب فقال:{كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ } [المائدة: ٧٩]، وأوضح الحق سبحانه أن هلاك الأمم الماضية كان بسبب ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال تعالى:{فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ } [الأعراف: ١٦٥-١٦٦]، كما حذرنا الرسول – صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ – من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد روى الإمام أحمد عن قيس بن أبي ليلى قال: قام أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية: { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ } [المائدة: ١٠٥] ، وإنا سمعنا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: " إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه، أوشك أن يعمهم الله بعقابه" (١).

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند أبي بكر الصديق، رقم: ١، (١/١٧٨).

ثالثًا: أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في بناء الوعي الأخلاقي:

١-تمثل وصية الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر سفينة نجاة هذه الأمة، وصلاح وفلاح الفرد، والمجتمع، واستقامة أخلاقهم، وسلوكهم، ولا أدل على ذلك من قوله تعالى: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾} [آل عمران:١٠٤]، وقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: (تعرض الفتن على القلوب عرض الحصير، فَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بيضاء، وأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، حتى يصير القلب على قلبين أبيض مثل الصفا، لا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مُرْبَدٌّ كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا، وأمال كفه - لا يعرف معروفا، ولا ينكر منكرا، إلا ما أشرب من هواه)[١].

٢-كما أنها تشكل وتمثل الدرع الواقي الذي يحمي المجتمع، ويقيه من الوقوع في براثن الرذيلة، والإصابة بالأمراض الأخلاقية التي من شأنها تدمير، وانهيار المجتمعات، وفي ذلك يقول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: (مثل القائم على حدود الله والمدهن فيها كمثل قوم استهموا على سفينة في البحر، فأصاب بعضهم أعلاها، وأصاب بعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها يصعدون فيستقون الماء فيصبون على الذين في أعلاها فقال الذين في أعلاها: لا ندعكم تصعدون فتؤذوننا، فقال الذين في أسفلها: فإنا ننقبها من أسفلها فنستقي، فإن أخذوا على أيديهم فمنعوهم نجوا جميعا، وإن تركوهم غرقوا جميعا)[٢].

٣-تنشئة الأبناء، وبناء شخصيتهم على المسؤولية الإيجابية، والتفاعل مع أفراد المجتمع، حتى يكون سببًا في تقدمه ونهضته، فيهنأ الجميع بحياة فاضلة،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم: ٢٣٢٨٠ (٣١٤/٣٨)، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، باب: ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(رقم: ٢١٧٣)، (٤٧٠/٤)، وإسناده صحيح.

ويعم الخير والنفع، وهو ما ترشد إليه وصية لقمان لابنه " وأمر بالمعروف وانه عن المنكر".

الوصية السابعة: التحلي بالصبر:

قال: تعالى: {وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧} [لقمان: ١٧].

علاقة الوصية بما قبلها:

بعد أن أمر لقمان ابنه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمره بالصبر؛ لأن من أمر بالمعروف، ونهى عن المنكر غالبًا يواجه المتاعب، والمصاعب، والعناد، والشدائد من أهل الشر والفساد؛ وقد يلحقه أذى منهم؛ لتعرضه لهم في أهوائهم الفاسدة؛ فكانت وصيته له بالصبر، وأن يتحمل ما يعترضه؛ ولذلك ذكر الحق سبحانه الصبر عقب التواصي بالحق مباشرة، فقال تعالى: {وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣} [العصر: ٣].

تعريف الصبر:

الصبر هو: " ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله لا إلى الله"(١)، فلا شكوى لغير الله مما يلحق الإنسان ويصيبه.

فضل الصبر:

الصبر له منزلة عالية، ومكانة سامية عند الحق سبحانه، حيث جاء ذكره في القرآن الكريم في نيف وسبعين موضعًا، ودعا إلى التحلي بهذا الخلق النبيل في مواطن كثيرة منها: ففي موطن البلاء الذي يختبر الله به عباده يقول: { وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ} [البقرة: ١٥٥-١٥٦]، وفي موطن

(١) التعريفات(ص: ١٣١)

الجهاد وملاقاة العدو، يقول: {قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ } [البقرة: ٢٤٩]، وفي موطن تحمل الأذى، قال تعالى:{وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ } [النحل: ١٢٦]، ويبشر عباده المؤمنين أن نهاية طريق الصبر دائمًا الفلاح، والنصر من الله، فيقول تعالى:{وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ } [الأنعام: ٣٤]، ويقول:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [آل عمران: ٢٠٠]، ويأمرنا الله بالمثابرة على العبادة، فيقول جل شأنه:{فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا } [مريم: ٦٥]، ويخبرنا الحق سبحانه أن الصابرين مؤيدون بمعونة الله عَزَّوَجَلَّ فقال: {وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ } [الأنفال: ٤٦]، وأثنى على أهله، فقال: {وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ } [البقرة: ١٧٧]، وأخبر بمحبته للصابرين، فقال: {وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ } [آل عمران: ١٤٦]، وأعد لهم الأجر العظيم، والثواب الجزيل في الآخرة، فقال: {وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ } [النحل: ٩٦]، وقال: {إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ } [الزمر: ١٠]، وقال: {وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا } [الإنسان: ١٢].

أثر التحلي بالصبر في بناء الوعي الأخلاقي:

١- خلق الصبر يقي الآمر بالمعروف وما يتناقض مع مقتضيات رسالته، وفي ذلك يقول تعالى: {وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ} [يونس: ١٠٩].

٢- ترويض النفس، وضبطها من أن يصيبها الجزع، والملل عند القيام بالأعمال التي من شأنها تتطلب الصبر، فهو يغرس فيها الثبات، والإصرار، والعزم؛ وهو ما يدل عليه قوله: {إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ} [لقمان: ١٧]، ويقول الحق سبحانه في موطن آخر: {وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ } [الشورى: ٤٣] بإدخال اللام في الخبر {لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ } [الشورى: ٤٣] بخلاف ما في سورة لقمان؛ لأن الصبر على المكروه الذي هو ظلم أشد من الصبر على الذي ليس بظلم(١).

٣- خلق الصبر سبب لنشر المحبة، والألفة، وتقوية الصلة بين أفراد المجتمع، ويعطيهم القوة على تحمل تقلبات الحياة الاجتماعية، فعن أبي سعيد الخدري - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- أن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى إذا نفد ما عنده قال: (ما يكن عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يَصْبِرْ يُصَبِّرْهُ الله، وما أعطي أحد من عطاء خير وأوسع من الصبر)(٢).

الوصية الثامنة: التواضع ولين الجانب:

قال تعالى: { وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ} [لقمان: ١٨].

علاقة الوصية بما قبلها:

بعد أن أوصى لقمان ابنه بالوصايا السابقة، والتي من شأنها أن تجعله كاملاً في نفسه مكملًا غيره، خشي عليه من الكبر على الغير، فنهاه عنه، وحمله على لين الجانب والتواضع؛ ليكون محبوبًا عند الناس، فيقبلون أمره بالمعروف، ونهيه عن المنكر، فقال: { وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ} [لقمان: ١٨].

---

(١) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان(٦/٨٠)

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: فضل التعفف والصبر، (رقم: ١٠٥٣)، (٢/٧٢٩)

وأصل الصَّعَر: داء يصيب الإبل في أعناقها، فتميل وتلتوي، يقال: صعَّر وجهه: إذا مال، وأعرض تكبرًا، والمعنى: لا تميل، ولا تعرض عن الناس تكبرًا واستحقارًا، ولكن ألن جانبك، وابسط وجهك إليهم(١).

تعريف التواضع:

التواضع: خفض الجناح، وكسر الجانب(٢). أي لين الجانب.

فضل التواضع ولين الجانب:

التواضع من الأخلاق الحميدة التي يتصف بها الصالحون المخبتون، ويتحلى بها المؤمنون المتقون، فيخفضون جناح الذل والرحمة للخلق، حتى لا يروا لهم عند أحد حقًا، ولا يروا لهم على أحد فضلًا، وكما قيل التواضع: الرضا بمنزلة دون ما يستحقه فضله ومنزلته(٣)، وأن يرى نفسه دون غيره في صفة الكمال(٤)؛ ولذلك يقول الحق سبحانه في وصف المؤمنين: {فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ} [المائدة: ٥٤] ولفظة (أذلة) ليس من الذل بمعنى الهوان، وإنما هو من الذلة بمعنى: اللين والتواضع(٥)، فلين الجانب والتواضع مع الخلق من علامة حب الله تعالى للمؤمن.

ولقد أمر الحق سبحانه حبيبه ومصطفاه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتواضع مع الخلق فقال: {وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ} [الحجر: ٨٨] وخفض الجناح كناية عن اللين، والرفق، والتواضع(٦). ومدح الله نبيه يحيى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بقوله: {وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا} [مريم: ١٤] أي: لم يكن متكبرًا على الناس، بل كان لين الجانب متواضعًا لهم(٧).

---

(١) ينظر: جامع البيان(١٤٣/٢٠)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان(٤٢٦/٥).
(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف(ص: ٩٧).
(٣) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم (ص: ٢٠٣).
(٤) معجم لغة الفقهاء(ص: ١٥٠).
(٥) ينظر: تفسير القرآن، للسمعاني(٤٧/٢).
(٦) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان(٢٣٤/٤)
(٧) ينظر: تفسير المراغي(٣٩/١٦)

وجعل الله الدار الآخرة، ونعيمها للذين لا يريدون تكبرًا، ولا تجبرًا فقال سبحانه: { تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ } [القصص: ٨٣].

أثر التواضع ولين الجانب في بناء الوعي الأخلاقي:

التواضع يسهم في نشر الألفة، والمحبة، والمودة بين أفراد المجتمع، ويعمل على بث روح التعاون بين الناس، فتسمو العلاقات، وترقى بأكملها نحو الخير، والنهوض بالمجتمع، يقول عَزَّوَجَلَّ: { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ }[آل عمران:١٥٩]؛ ولذلك وجه النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يتواضع بعضهم مع بعض، فقال: (وإن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد)(١).

الوصية التاسعة: عدم الغرور:

قال تعالى: {وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ } [لقمان: ١٨-١٩].

بعد أن بين لقمان آداب حسن المعاملة مع الناس، أتبعها بآداب هيئته الخاصة، وذكر منها حالة المشي؛ فنهاه الخيلاء والعجب بالنفس ومنه التبختر في المشي، لأنه مظهر من مظاهر الكبر، وأمره بالاعتدال في المشي.

الكبر بطر الحق وغمط الناس:

والكبر حمل إبليس على عصيان الله، ومنعه من السجود لآدم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ قال تعالى: { وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ }

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بسنده، كتاب: الجنة، وصفة نعيمها، وأهلها، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار(رقم: ٢٨٦٥)، (٤/٢١٩٨)

[البقرة: ٣٤]، وهو من صفات الكافرين وأهل النار قال تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } [غافر: ٦٠]. وقال عن قوم صالح: {قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ } [الأعراف: ٧٦]، وعن قوم شعيب يقول سبحانه: {قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ } [الأعراف: ٨٨]، وقال عن فرعون: {وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ } [القصص:٣٩].

وقد بين الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه وصف أهل النار؛ فعن حارثة بن وهب الخزاعي، عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: "ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضاعف، لو أقسم على الله لأبره. ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر(١)".

والكبر سبب في الحرمان من محبة الله عزوجل ودخول الجنة، ويصرف عن الهداية يقول الله تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾} [النساء: ٣٦]، وقال تعالى: { سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًاۚ } [الأعراف: ١٤٦]، وقال تعالى: {كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾} [غافر: ٣٥].

وقد نفى النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ دخول الجنة عن المتكبرين، فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال:" لا يدخل

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: الكبر، (٢٠/٨) رقم (٦٠٧١)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (٢١٩٠/٤) رقم (٢٨٣٥).

الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر" قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة، قال: "إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس[1]."

ولأن الاختيال والتبختر في المشي من مظاهر الغرور والكبر نهى عنه الله سبحانه مؤكدًا ضعف الإنسان وعجزه فقال تعالى: {وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا} [الإسراء: ٣٧]. يريد: أنه ليس للعاجز أن يمدح نفسه، ويستكبر. كذا قاله السمرقندي[2].

ويقول الزمخشري: "وَلا تَمْشِ تمرح مَرَحاً أو أوقع المصدر موقع الحال بمعنى مرحا. ويجوز أن يريد: ولا تمش لأجل المرح والأشر، أي لا يكن غرضك في المشي البطالة والأشر كما يمشى كثير من الناس لذلك، لا لكفاية مهم ديني أو دنيوي. ونحوه قوله تعالى: {وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ} [الأنفال: ٤٧] [3]."

وعندما خرج قارون على قومه في زينته معجبًا بنفسه، وقد تملكه الغرور والخيلاء" قَالَ {إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ} [القصص: ٧٨] فأصبح فريسة الزهو، وخسف الله به وبداره الأرض، قال تعالى: {فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾} [القصص: ٨١].

والتبختر يبغضه الله ورسوله إلا في وقت القتال ففي غزوة أحد" أخرج رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيفا أي وكان مكتوبا في إحدى صفحتيه

---

(١) كتاب: الإيمان، باب: باب تحريم الكبر وبيانه، (٩٣/١) رقم: (٩١).
(٢) بحر العلوم: (٢٦٨/٢).
(٣) الكشاف: (٤٩٧/٣).

فى الجبن عار وفى الإقبال مكرمة والمرء بالجبن لا ينجو من القدر[١]

وقال:" من يأخذ هذا السيف بحقه فقام إليه رجال فأمسكه عنهم من جملتهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قام ليأخذه، فقال: اجلس، وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأعرض عنه، والزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أي: وطلبه ثلاث مرات، كل ذلك ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعرض عنه حتى قام إليه أبو دجانة وقال: ما حقه يا رسول الله؟ قال: تضرب به في وجه العدو حتى ينحني. قال: أنا آخذه بحقه، فدفعه إليه، فكان رجلا شجاعا يحتال عند الحرب أي: يمشي مشية المتكبر، وحين رآه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتبختر بين الصفين قال:" إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن" أي؛ لأن فيها دليل على عدم الاكتراث بالعدو[٢]."

وبذا تجد لقمان عَلَيْهِ السَّلَامُ قد استخدم في وصيته لابنه أسلوب التعليل الذي به يحدث الاقتناع وذلك بقوله: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ } [لقمان: ١٨] عملًا بالتخلية قبل التحلية، وذلك في نهيه عن المشي تبخترًا وتكبرًا، ثم أتبعه بالأمر بالقصد في المشي {وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ} [لقمان: ١٩] ما يعد توجيهًا بتقديم البديل، حرصًا منه على تحسين مظهره الخارجي إثر نصحه بما يجمل مخبره.

والقصد: الوسط بين طرفين؛ فالقصد في المشي هو الاعتدال بأن يكون بين طرف التبختر وطرف الدبيب، ويراه القاضي أبو محمد:" وهو أن لا يتخرق في إسراع ولا يواني في إبطاء وتضاؤل[٣]."

---

(١) البيت من بحر البسيط، والبيت منسوب لعلي بن أبي طالب، ينظر: ديوان الإمام علي ص: (٥٣).

(٢) إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون المعروفة بالسيرة الحلبية: لعلي بن برهان الدين الحلبي ت ١٠٤٤هـ ط٢ دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢٧هـ ص: (٣٠٣).

(٣) المحرر الوجيز: (٣٥١/٤).

ويقول الإمام البغوي:" أي: ليكن مشيك قصدا لا تخيلا ولا إسراعا. وقال عطاء: امش بالوقار والسكينة، كقوله: {يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا} [الفرقان: ٦٣][(١)]"

أثر عدم الغرور في بناء الوعي الأخلاقي:-

١- الاقتداء بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الاقتداء بواحدة من أعظم صفات حسن الخلق.

٢- تطهير الفرد من الأخلاق الدنيئة، وعلى رأسها العجب بالنفس

٣- البعد عن التباهي والتفاخر، وتجنب العداوة والبغضاء بين الناس.

٤- تحقيق الألفة بين أبناء المجتمع الإسلامي؛ فتزداد قوته – حين يلتزم المنهج الإسلامي- فيتمكن من مواجهة شتى المخاطر التي تحيط بالمسلمين.

الوصية العاشرة: أدب الحديث بخفض الصوت:

قال تعالى: {وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} [لقمان: ١٩] لما عرض لقمان لآداب الهيئة الخاصة، وذكر منها حالة المشي؛ أتبعه بحالة أخرى، وهي حالة التكلم وآداب الحديث؛ فأمره بغض الصوت.

قال الزجاج:" معنى اغضض: انقص، ومن ذلك غضضت بصري، وفلان يغض بصره من فلان أي يتنقصه[(٢)]".

ومعنى غض الصوت: جعله دون الجهر، ولا يبلغ به إلى التخافت والإسرار[(٣)].

وهذا ما أمرنا الله به في كتابه قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا

(١) معالم التنزيل: (٥٨٩/٣).
(٢) معاني القرآن : (١٩٤/٤).
(٣) ينظر: التحرير والتنوير: (١٦٨/٢١).

تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾} [الحجرات: ٢-٣] .

ثم علل لقمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وصيته لولده بخفض الصوت بقوله: {إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾} [لقمان: ١٩] في تشبيه ضمني بليغ؛ حيث شبه الرافعين لأصواتهم في غير حاجة إلى ذلك، بأصوات الحمير التي هي مثار السخرية مع النفور منها(١)، مبالغة في الذم والتنفير منه.

يقول القرطبي:" والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة، وكذلك نهاقه، ومن استفحاشهم لذكره مجردا أنهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح، فيقولون: الطويل الأذنين، كما يكنى عن الأشياء المستقذرة. وقد عد في مساوئ الآداب أن يجري ذكر الحمار في مجلس قوم من أولي المروءة(٢)."

وعن قَتادة: (إنَّ أنكَرَ الأصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ) أي: أقبح الأصوات لصوت الحمير، أوّله زفير، وآخره شهيق(٣)، أمره بالاقتصاد في صوته."

ولم يقل أصوات الحمير، لأنه يراد به الجنس ولإضافته لجمع.

وفي الصحيح عن أبي هريرة، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا سمعتم صياح الديكة، فاسألوا الله من فضله، فإنها رأت ملكا، وإذا سمعتم نهيق الحمار، فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنها رأت شيطانا.(٤)"

(١) ينظر: التفسير الوسيط لفضيلة الإمام الأكبر أ.د/ محمد سيد طنطاوي/ (١٢٣/١١).
(٢) الجامع لأحكام القرآن: (٧٢/١٤).
(٣) جامع البيان للطبري: (١٤٦/٢٠).
(٤) صحيح مسلم كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: استحباب الدعاء عند صياح الديك ، رقم (٢٧٢٩) (٤/ ٢٠٩٢).

أثر غض الصوت في بناء الوعي الأخلاقي:

١- عدم رفع الصوت في الحوار يعكس عقلًا متزنًا، وفكرًا منظمًا، وحجة موضوعية[١].

٢- غض الصوت المأمور به، أوفر للمتكلم، وأبسط لنفس السامع، وفَهْمِه[٢].

٣- الصوت المعتدل يجلب الألفة ويشعر بالطمأنينة، ويعمل على توسيع دائرة العلاقات الاجتماعية.

(١) ينظر: أدب المعاملة وأثره في بناء العلاقات الإنسانية من منظور قرآني، د/ عودة عبد عودة عبد الله ص: (٣٣).

(٢) روح المعاني للآلوسي: (١١/٩٠).

الخاتمة

نسأل الله حسنها

من خلال هذا البحث في وصايا لقمان يمكن استخلاص بعض النتائج منها:

١- وصايا لقمان أنموذج رائع في بناء الوعي الأخلاقي يمكن عن طريقها تحقيق الأهداف والطموحات المستقبلية، وتقديم الحلول لكثير من المشكلات التي تعانيها مجتمعاتنا اليوم.

٢- ممارسة القدوة عمليا في شتى مناحي الحياة، ولاسيما مع الأسرة؛ فيا حبذا لو وجد في كل بيت لقمان، يتخول أبناءه بالموعظة، ويتعاهدهم، ليكونوا جيلًا ينهض بالمجتمع، ولا يتركونهم لوسائل التواصل الاجتماعي تفعل بهم الأفاعيل.

٣- وصايا لقمان في القرآن صالحة لكل عصر، ولكل جيل، وتواكب كل تقدم وازدهار.

٤- حرص لقمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على تربية ولده على مراقبة الله عَزَّوَجَلَّ؛ ليضمن استقامته سرا وعلانية؛ فكان بذلك قدوة للآباء فيما يجب عليهم نحو أبنائهم من ترسيخ خلق المراقبة في نفوسهم، وتذكرتهم بأن الله لا تخفى عليه خافية.

٥- وصايا لقمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ جديرة بالاهتمام والتطبيق، ففيها سلامة المرء في الدنيا والآخرة؛ فلكل وصية أصل تُستقى منه من الكتاب أو من السنة المطهرة، أو من آثار السلف الصالح أو من مشهور حكم العرب، وقد ربى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليها أصحابه، فكان لها أثرها في بناء مجتمع قوي، تسوده القيم والأخلاق النبيلة، وبها ظهر وانتشر في ربوع الأرض.

٦- وصايا لقمان تكفل السعادة في الدنيا والآخرة لمن وعاها وطبقها في واقعه؛ إذ تشمل أمور العقيدة والعبادة والأخلاق، وفيها عمل القلب والجوارح

واللسان، وأيضًا بها هندام الهيئة من المظهر والمخبر، وفيها صلاح علاقته بربه وبوالديه وبنفسه وبالناس أجمعين.

ومن التوصيات المقترحة:

١- تضافر الجهود من المعلمين والمربين ودعاة المساجد لغرس هذه الوصايا في نفوس النشء وشباب المسلمين.

٢- ترجمة وصايا لقمان باللغات المختلفة ونشرها في مواقع التواصل الاجتماعي؛ ليعلم أهل الأرض عظمة هذا الدين، ومدى سعيه لغرس الفضائل، والنهي عن الرذائل وذمها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ثبت المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم.

ثانيا: التفسير وعلوم القرآن:

١- أسرار ترتيب القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبي الفضل، الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

٢- إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين درويش (المتوفى : ١٤٠٣هـ)، الناشر : دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية ، (دار اليمامة ودار ابن كثير – دمشق – بيروت)، الطبعة : الرابعة، ١٤١٥ هـ .

٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

٤- أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، د/ عبد الله محمود شحاته، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦م.

٥- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر الجزائري جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر ، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٦- بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)، تحقيق: الشيخ على محمد معوض وآخرين، نشر: دار الكتب العلمية- بيروت الطبعة الأولى١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٧- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٨- البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي.

٩- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

١٠- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، نشر : الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

١١- تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م .

١٢- تفسير القرآن، لأبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، نشر: دار الوطن، الرياض- السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٣- التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة.

١٤- تفسير المراغي، للشيخ أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، نشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

١٥- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر- دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨هـ.

١٦- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، للإمام الأكبرأ.د/ محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، الطبعة: الأولى.

١٧- جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٨- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، لأ[ي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

١٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٢٠- زاد المسير في علم التفسير، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

٢١- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، لشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ)، نشر: مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، عام النشر: ١٢٨٥هـ.

٢٢- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، نشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ.

٢٣- فنون الأفنان في عيون علوم القرآن، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى ٥٩٧ هـ)، دار النشر: دار البشائر – بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى – ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م.

٢٤- القرآن وعلم النفس، د/ محمد عثمان نجاتي، طبع دار الشروق الثانية، ١٩٨٥م.

٢٥- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

٢٦- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبي إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م.

٢٧- لباب التأويل في معاني التنزيل لاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٢٨- لطائف الإشارات = تفسير القشيري، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة: الثالثة.

٢٩- محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

٣٠- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

٣١- المحرر في أسباب النزول نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، لخالد بن سليمان المزيني، الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، (١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م).

٣٢- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، تحقيق الشيخ: مروان محمد الشعار، دار النشر: دار النفائس ــ بيروت ٢٠٠٥.

٣٣- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، لمحيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ

٣٤- معاني القرآن وإعرابه، لإبراهيم بن السري بن سهل، أبي إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

٣٥- مفاتيح الغيب، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

٣٦- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى(المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ.

٣٧- النشر في القراءات العشر، لشمس الدين أبي الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى : ٨٣٣ هـ)

٣٨- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٣٩- النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

٤٠- الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر لمحمد سالم محيسن (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، الناشر: دار الجيل – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

ثالثًا: الحديث وعلومه:

٤١- إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون المعروفة بالسيرة الحلبية: لعلي بن برهان الدين الحلبي ت ١٠٤٤هـ ط٢ دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢٧هـ.

٤٢- البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨ م.

٤٣- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ)، المحقق: عمر عبد السلام السلامي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٤٤- سنن ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

٤٥- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: شعَيب الأرناؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، نشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

٤٦- سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي أبي عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرين، نشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي- مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

٤٧- سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، لمحمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: ١٥١هـ)، تحقيق: سهيل زكار، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م.

٤٨- السيرة النبوية لابن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، عام النشر: ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م.

٤٩- شرح السنة، لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٥٠- شعب الإيمان، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبي بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

٥١- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٥٢- صحيح مسلم= المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت

٥٣- عمدة الأحكام من كلام خير الأنام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لعبد الغني المقدسي (المتوفى: ٦٠٠هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، الناشر: دار الثقافة العربية، دمشق - بيروت، مؤسسة قرطبة، مدينة الأندلس، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٥٤- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩.

٥٥- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠.

٥٦- مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١ م

٥٧- المعجم الكبير سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية.

رابعًا : العقيدة:

٥٨- التعرف لمذهب أهل التصوف، لأبي بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (المتوفى: ٣٨٠هـ)، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

خامسًا: اللغة وعلومها:

٥٩- أسواق الذهب، لأحمد شوقي ط دار مصر، رقم إيداع ١٠٠٣٢/ ٩٣.

٦٠- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبي الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

٦١- التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، نشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

٦٢- التوقيف على مهمات التعاريف، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت- القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٦٣- ديوان أبي العتاهية، دار بيروت١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٦٤- ديوان الإمام علي بن أبي طالب،جمعه/ عبد العزيز الكرم، الطبعة الأولى١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.

٦٥- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

٦٦- القاموس المحيط، لمجد الدين أي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م.

٦٧- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ

٦٨- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبي العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.

٦٩- معجم البلدان، لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م.

٧٠- معجم اللغة العربية المعاصرة د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) وآخرون، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٧١- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى وآخرون)، الناشر: دار الدعوة.

٧٢- معجم لغة الفقهاء، لمحمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي، نشر: دار النفائس.

٧٣- معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، نشر: مكتبة الآداب - القاهرة / مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤ م.

٧٤-معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، **سادسًا: مجلات علمية**

٧٥- أدب المعاملة وأثره في بناء العلاقات الإنسانية من منظور قرآني، د/ عودة عبد عودة عبد الله. مجلة كلية الشريعة العدد ٢٢ نشر جامعة قطر ٢٠٠٤م.

٧٦- الوعي الأخلاقي لدى مرتكبي جرائم زنا المحارم، لعبيد هجران محسن، بحث مستل من مجلة الآداب، جامعة بغداد - كلية الآداب ملحق العدد ١٣٦ ٢٠٢١م / ١٤٤٢هـ.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع
١	**ملخص البحث**
٢	**المقدمة**
٣	**التمهيد**
٤	**المبحث الأول: بين يدي السورة الكريمة**
٧	**المبحث الثاني: وصايا لقمان وأثرها في بناء الوعي**
٨	الوصية الأولى: الدعوة إلى التوحيد
٩	الوصية الثانية: بر الوالدين
١٠	الوصية الثالثة: اتباع سبيل أهل الصلاح
١١	الوصية الرابعة مراقبة الله عز وجل
١٢	الوصية الخامسة: إقامة الصلاة
١٣	الوصية السادسة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
١٤	الوصية السابعة: التحلي بالصبر
١٥	الوصية الثامنة: حسن الخلق بالتواضع ولين الجانب
١٦	الوصية التاسعة: عدم الغرور
١٧	الوصية العاشرة: أدب الحديث بخفض الصوت
١٨	**الخاتمة**
١٩	**ثبت المصادر والمراجع**
٢٠	**فهرس الموضوعات**